



آيات حوار الإخوة والأصحاب دراسة بلاغية

2024

رسالة ماجستير

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

Mohammed Saeed AHMED

المشرف

Dr. Öğr. Üyesi Salih DERŞEVI

آيات حوار الإخوة والأصحاب دراسة بلاغية

Mohammed Saeed AHMED

المشرف

Dr. Öğr. Üyesi Salih DERŞEVI

بحث أُعدّ لنيل درجة الماجستير في قسم العلوم الإسلامية الأساسية بمعهد
الدراسات العليا بجامعة كارابوك في تركيا

كارابوك

حزيران/2024

المحتويات

1	المحتويات
5	صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)
6	صفحة الحكم على الرسالة
7	DOĞRULUK BEYANI
8	تعهد المصادقية
9	شكر وعرفان
10	المقدمة
13	الملخص
15	ÖZET
16	ABSTRACT
17	ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ
18	بيانات الرسالة للأرشفة (باللغة العربية)
19	ARCHIVE RECORD INFORMATION
20	موضوع البحث
20	أهداف البحث وأهميته
20	أهمية البحث
21	منهج البحث
21	مشكلة البحث
21	أسئلة البحث
22	حدود البحث ونطاقه
22	المشكلات التي واجهت الباحث
22	الدراسات السابقة
24	تمهيد
40	الفصل الأول: آيات حوار الإخوة والأصحاب في ضوء الأساليب الخيرية والإنشائية
41	المبحث الأول: الأساليب الخيرية

- 42.....المطلب الأول: غرض الخبر الأساسيان
- 42.....أولاً: فائدة الخبر:
- 43.....ثانياً: لازم الفائدة:
- 44.....المطلب الثاني: أغراض الخبر البلاغية
- 49.....المطلب الثالث: أضرب الخبر
- 53.....المطلب الرابع: مراعاة حال المتكلم
- 58.....المبحث الثاني: الأساليب الإنشائية
- 59.....المطلب الأول: أسلوب الأمر
- 60.....أولاً: ورود الأمر على حقيقته
- 61.....ثانياً: خروج الأمر إلى معان بلاغية أخرى
- 67.....المطلب الثاني: أسلوب النهي
- 67.....أولاً: ورود النهي على حقيقته
- 69.....ثانياً: خروج النهي إلى معان بلاغية أخرى
- 72.....المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام
- 72.....أولاً: ورود الاستفهام على حقيقته
- 73.....ثانياً: خروج الاستفهام إلى معان بلاغية أخرى
- 78.....المطلب الرابع: أسلوب النداء
- 79.....أولاً: ورود النداء على حقيقته
- 80.....ثانياً: خروج النداء إلى معان بلاغية أخرى
- 84.....الفصل الثاني: دلالات التراكيب في آيات حوار الإخوة والأصحاب
- 86.....المبحث الأول: دلالات أسلوب الذكر والحذف والتأخير
- 86.....المطلب الأول: دلالات أسلوب الذكر والحذف
- 93.....المطلب الثاني: التقديم والتأخير
- 94.....أولاً: تقديم المسند إليه
- 95.....ثانياً: تقديم المسند
- 95.....ثالثاً: تقديم المتعلقات
- 96.....رابعاً: تقديم بعض الجمل على بعض
- 97.....المبحث الثاني: الإظهار والإضمار

98.....	المطلب الأول: الإظهار في موطن الإضمار
102.....	المطلب الثاني: الإضمار في مقام الإظهار
105.....	المبحث الثالث: القصر
105.....	تعريف القصر وأنواعه
106.....	المطلب الأول: القصر بالنفي والاستثناء
110.....	المطلب الثاني: القصر بآمًا
111.....	المطلب الثالث: القصر بالتقديم
112.....	المطلب الرابع: القصر بضمير الفصل
114.....	المبحث الرابع: الفصل والوصل
115.....	المطلب الأول: الفصل ومواضعه
115.....	أولاً: كمال الاتصال
116.....	ثانياً: كمال الإنقطاع بلا إيهام
119.....	رابعاً: كمال الانقطاع
120.....	خامساً: التوسط بين الكمالين
121.....	المطلب الثاني: الوصل ومواضعه
122.....	أولاً: اتفاق الجملتين في الخبرية
123.....	ثانياً: اتفاق الجملتين في الإنشائية
124.....	ثالثاً: اتفاق الجمل في المعنى
125.....	المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب
125.....	المطلب الأول: الإيجاز
130.....	المطلب الثاني: الإطناب
136.....	الفصل الثالث: الصور البيانية والألوان البديعية في آيات الحوار
137.....	المبحث الأول: الصور البيانية
138.....	المطلب الأول: التشبيه والاستعارة
138.....	أولاً: التشبيه
138.....	ثانياً: الاستعارة
140.....	المطلب الثاني: المجاز
141.....	أولاً: المجاز العقلي

143 ثانياً: المجاز اللغوي المرسل
145 المطلب الثالث: الكناية
146 المبحث الثاني: البديع
147 المطلب الأول: المحسنات المعنوية
147 أولاً: الطباق
149 ثانياً: الأسلوب الحكيم
150 ثالثاً: تجاهل العارف أو سؤال العالم عما يعلم
150 رابعاً: اللف والنشر
153 خامساً: الإدماج
153 سادساً: الاحتراس
154 سابعاً: التفريق
155 المطلب الثاني: المحسنات اللفظية
155 أولاً: الجناس :
156 ثانياً: السجع:
157 ثالثاً: براعة الاستهلال:
158 رابعاً: الاحتباك:
160 خامساً: الافتنان
162 الخاتمة والنتائج
167 المصادر والمراجع
176 السيرة الذاتية

صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركبية)

Mohammed Saeed AHMED tarafından hazırlanan “KARDEŞLER VE ARKADAŞLAR ARASINDAKİ DİYALOGLARI İÇEREN AYETLER: BELAGAT YÖNÜNDEN BİR İNCELEME ” başlıklı bu tezin Yüksek Lisans Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Dr. Öğr. Üyesi Salih DERŞEVİ

Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Temel İslam Bilimlerinde Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir. 2024.05.07

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu)

İmzası

Başkan : Dr. Öğr. Üyesi Salih DERŞEVİ (KBÜ)

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Ahmed Taha Wahba RADWAN (KBÜ)

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Muhammed Murtaza ÇAVUŞ (GAÜ)

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Yüksek Lisans Tezi derecesini onamıştır.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب محمد سعيد أحمد بعنوان "آيات حوار الإخوة والأصحاب دراسة بلاغية" في برنامج الدراسات العليا هي مناسبة كرسالة ماجستير.

Dr. Öğr. Üyesi Salih DERŞEVİ

مشرف الرسالة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

تم الحكم على رسالة الماجستير هذه بالقبول بإجماع لجنة المناقشة بتاريخ.

07.05.2024

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

رئيس اللجنة : Dr. Öğr. Üyesi Salih DERŞEVİ (KBÜ)

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi Ahmed Taha Wahba RADWAN (KBÜ)

عضواً : Dr. Öğr. Üyesi Muhammed Murtaza ÇAVUŞ (GAÜ)

تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الماجستير في قسم في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN

مدير معهد الدراسات العليا

DOĐRULUK BEYANI

Yüksek lisans tezi olarak sunduĐum bu alıřmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdıĐımı, arařtırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiĐimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme arařtırmamda yer vermediĐimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuĐunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana baĐlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptıĐım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: Mohammed Saeed AHMED
İmza :

تعهد المصادقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد أبحاث الماجستير أثناء كتابتي هذه الأطروحة التي بعنوان:

"آيات حوار الإخوة والأصحاب دراسة بلاغية"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث العلمية، كما أنني أعلن بأن أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستلة من أطروحات أو كتب أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أية وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد.

اسم الطالب: محمد سعيد أحمد

التوقيع:

شكر وعرفان

أحمد الله ربي أولاً وآخرأ سرأ وظاهرأ حمداً متوالياً وإن كان يتضاءل أمام حق حمده حمد الحامدين

على ما يسر لي وأعان وفتح من فضله وكرمه

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل والذي انتفعت بعلمه وحُلقه منذ أول اتصال لي به في الجامعة، كان لا يعرفني فما وجدت منه إلا السهولة واللفظ وقد أعانني منذ تلك اللحظة، وكان لهذا الموقف الأثر الكبير في نفسي، ثم لما مضت أيام الدراسة وجدتُ منه العلم والأدب، وكانت مسيرته دافعاً لي على الجد والطلب، ولما كانت المرحلة ذات الصعوبة في الدراسة وهي اختيار عنوان البحث وجدته خير معين وأفضل ناصح، بارك الله بعمره و ولده ويسر له الخير أينما حل وارتحل على ما قدم لي ونصح...
ولا أنسى من شكري وثنائي لأمي وأبي اللذين كانا السبب فيما وصلت إليه بعد الله جل في علاه رب ارحمهما كما ربياني صغيراً...

وأشكر زوجتي الفاضلة التي لم تدخر جهداً بالوقوف معي ومساندتي طوال هذه المرحلة..

وكذلك كل الشكر لإخواني وأخواتي وأصحابي ومن دعا لي، ووقف معي من أجل إتمام هذه

المرحلة، وأخص منهم زميلي وصديقي ياسر حسين .

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله معيناً لا ينضب ومنهلاً لا ينفد وشفاء للأبدان والأرواح والأمم والأفراد والجماعات، يقوم سلوكهم ويهديهم سبيلهم بما له من روعة في البيان وسحر في التأثير، وكان مما احتواه الحوار والذي كان من الطرق التي أراد الله أن يوصل لعباده جزءاً من شريعته من خلاله، لاسيما وأن القرآن يشتمل على عدة أساليب؛ وذلك من أجل الولوج إلى عقل الإنسان ومشاعره فاشتمل على حوار الأنبياء مع أقوامهم والآباء مع أبنائهم والملوك والرؤساء مع أقوامهم وغيرها من أنواع جمل الحوار، وكان مما ورد فيه الحوار بين الإخوة والأصحاب، فقد أبرز القرآن جملة من الآيات جاء فيها الحوار بين الإخوة والأصحاب ليظهر كثيراً من المعالم والمعاني بين هذه الرابطة العظيمة ليكشف لنا من خلاله عدة نماذج من الإخوة، فمنها ما غلب عليه جانب الخير فتسامح، ومنها التي تسامت إلى معانٍ أعظم ألا وهي القيام بالوظائف العظيمة من إصلاح الناس وسياستهم في أمور دينهم ودنياهم..

وكذلك من جمل الحوار ما أورده القرآن بين الأصحاب والأصدقاء، وهذه الرابطة لا تقل قيمة عن رابطة إخوة النسب بل لربما تسامت وتعالَت عليها في بعض المواقف، فيظهر الحوار في القرآن الكريم بين نماذج من الصحبة صوراً كالتالي أوجدت في حوار الإخوة، وصور أخرى مغايرة وأصناف متنوعة جاء بها القرآن للإرشاد والتنبيه والتحذير، والإبانة عن مسائل عظيمة لا بد من الوقوف عندها..

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة البلاغية للكشف عن مضامين هذا السفر العظيم والكشف عنه؛ وذلك من خلال الأساليب التي تكلم بها العرب فقعدت بقواعد أشار إليها العلماء لاسيما وأن القرآن نزل بهذه اللغة فإن استنطاق الآيات من خلال هذه القواعد البلاغية هو أخصر طريق بعد ما نقله أهل التفسير لمعرفة المعاني والمضامين لهذه الآيات، وسيحتوي هذا البحث على فصل تمهيدي يذكر فيه بعض

التعريفات المتعلقة بعنوان هذا البحث والتي منها تعريف الحوار والإخوة و الأصحاب، ومن ثم ذكر لأنواع الحوارات الواقعة بين الإخوة والأصحاب.

وقد عنيثُ بحوار الإخوة إخوة النسب، وحوار الصحبة ما جمعهم صحبة دين أو صحبة دنيا أو صحبة سفر أو صحبة طريق أو صحبة علم أو صحبة مكان، أو قد جرى في هذه الصحبة ما هو متعارف عليه عند الناس أو يطلق عليه اسم الصحبة .

ومن ثم الدراسة التطبيقية لآيات الحوار والتي اعتمد الباحث فيها على المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي.

وقد جعلتها في ثلاثة فصول الفصل الأول: الأساليب الخبرية والإنشائية وقد تطرقت في هذا الفصل لدراسة الأساليب الخبرية والإنشائية لآيات الحوار وبيان الأخبار التي جاءت على حقيقتها والأخرى التي خرجت إلى معانٍ بلاغية أخرى؛ لأجل بيان تلك المعاني، ومن ثم بيان أضراب الخبر وأنواعه في آيات الحوار مع دراسة مراعاة حال المتكلم عند إلقاء الخبر، وأما الأساليب الإنشائية فتناولت الدراسة فيها أبرز ما احتوت عليه في الجمل الحوارية من أمر ونهي واستفهام؛ وذلك للوقوف على ورود هذه الأساليب وإظهار كيفية مجيئها هل كانت على حقيقتها أم خرجت إلى خلاف مقتضى الظاهر، لاسيما وأن المتحاورين يغلب عليهم التساوي والندية كونهم إخوة أو أصحاب، فلا بد من الوقوف بدقة على هذه الأساليب البلاغية لإبراز معالم الحوار ومقاصده.

وأما الفصل الثاني فقد جرى فيه دراسة الظواهر الأسلوبية لعلم المعاني ومنها الذكر والحذف والتقديم والتأخير والإظهار والإضمار والقصر والفصل والوصل والإيجاز والإطناب، لمعرفة كيف تمت مطابقة جمل الحوار لمقتضى الحال وأثر هذه الأساليب في الحوار والمعاني التي أبرزتها هذه الأساليب.

وأما الفصل الثالث فقد تناول الباحث فيه دراسة الصور البيانية والمحاسن البديعية لآيات الحوار؛ وذلك من أجل بيان أي الصور البيانية أو أكثر الصور البيانية ورودا في آيات الحوار وصولا إلى المحاسن البديعية.

ثم ختم البحث بخاتمة ذكر فيها أبرز ما توصل إليه من معاني آيات الحوار ومقاصده والأساليب التي كان لها الأثر فيه، وتوصيات ذكرها الباحث بعد الخاتمة.



الملخص

تناولت هذه الدراسة الآيات القرآنية التي تضمنت الحوار الدائر بين الإخوة والأصحاب في القرآن الكريم، من أجل تحليله تحليلًا بلاغيًا من خلال الوقوف على أساليبه الخبرية والإنشائية، وتراكيبه المتضمنة للقصر والوصل والفصل والإطناب والإيجاز وغيرها من الأساليب، والوقوف على صوره البيانية وألوانه البديعية، ومن هذه الحوارات: ما دار بين هابيل وأخيه قابيل وموسى مع أخيه وهارون.. ومن حوار الأصحاب حوار عيسى مع الحواريين، وحوار النبي محمد (ص) مع صاحبه زيد بن حارثة، والحوار الذي دار بين أصحاب الكهف... وغيرها من الحوارات. وقد حاول الباحث التوصل إلى معالم هذه الحوارات ومعانيها العظيمة من خلال التحليل البلاغي، وقد انطلقت الدراسة من التساؤلات والإشكالات الآتية: هل خرجت الأساليب المستخدمة في حوار الإخوة والأصحاب عن مقتضى الظاهر؟ ما هي الأساليب الأكثر استعمالًا في هذه الحوارات؟ ما هو الجو العام الذي صوّره القرآن الكريم لأحوال هاتين الفئتين؟ وقد أراد الباحث من هذه الدراسة تحقيق أهداف مختلفة، منها الوقوف على معاني الأساليب التي وردت في الحوارات التي دارت بين الفئتين، وإبراز المقاصد الربانية ومعالم الإعجاز التي أراد الله أن يظهرها للناس في هذه المحاورات، والوقوف على مكانم النفوس وما تنطوي عليه من خير أو شر والحالات المختلفة التي تعتربها، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها: التنوع الكبير في الصور البلاغية، والأساليب التعبيرية التي أظهرت تلك المعاني والدلالات، لا سيما وأن جل الأساليب قد خرجت عن مقتضى الظاهر إلى معان أخرى كشفها البحث. يلفت القرآن الكريم النظر إلى خطورة قضية التحاسد بين الأقران من

جهة، ويركز على سمة التسامح والعفو التي بها تدوم هذه الرابطة من جهة أخرى، وهو ما برز بوضوح في مواضع كثيرة، إضافة إلى مقاصد أخرى أظهرتها الحوارات كالتناصح والتناصر من أجل دين الله.

الكلمات المفتاحية: الآيات، الحوار، الإخوة، الأصحاب، البلاغة.



ÖZET

Bu çalışmada Kur'an-ı Kerim'de geçen kardeşler ve arkadaşlar arasındaki diyalogları içeren ayetler ele alınmıştır. Haber ve inşa yöntemleri ile, kasr, fasıl ve vasıl, îcâz-itnâb ve diğer belagat yöntemleri incelenerek analiz edilmiştir. Bu diyaloglar arasında: Habil ile kardeşi Kabil, Musa ile kardeşi Harun arasında geçenler, İsa'nın havarileriyle olan diyalogu, Peygamber Efendimiz (s.a.v.)'in Zeyd bin Harise'la diyalogu, Ashab-ı Kehf arasında geçen diyalog ve diğer diyaloglar vardır. Araştırmacı bu diyalogların özelliklerine ve büyük anlamlarına belagat analizi yoluyla ulaşmaya çalışmıştır.

Çalışma aşağıdaki soru ve problemlerden yola çıkılarak başlatılmıştır. Kardeşler ve arkadaşlarla diyalogda kullanılan yöntemler ana temadan farklı mıydı? Bu diyaloglarda en çok kullanılan yöntemler nelerdir? Bu iki grubun durumuyla ilgili olarak Kur'an-ı Kerim'de tasvir edilen genel atmosfer nasıldır?

Araştırmacı bu çalışmanın, iki grup arasında gerçekleşen diyaloglarda bahsedilen yöntemlerin anlamlarını belirlemek de dahil olmak üzere çeşitli hedeflere ulaşmasını istemektedir.

Bu diyaloglarda Allah'ın insanlara göstermek istediği ilahi gayeler ve mucizevi işaretler vurgulanmakta, ruhların sırları, içerdikleri iyilik veya kötülükler ve uğradıkları farklı durumlar tespit edilmektedir. Çalışmada birtakım sonuçlara ulaşılmıştır; bunlardan en dikkate değer olanları şunlardır: Belagatli teşbihlerin ve o teşbihlerin manalarını ortaya çıkartan belagat yöntemlerinin zengin olması Bilhassa bu çalışmanın tespit ettiği ana konunun dışına çıkan belagat yöntemlerinin büyük çeşitliliği. Kur'an-ı Kerim, bir yandan akranlar arasındaki haset meselesinin ciddiyetine dikkat çekerken, diğer yandan bu bağın sürdürülmesini sağlayan hoşgörü ve affediciliğin birçok yerde açıkça ortaya çıkan özelliğine vurgu yapmaktadır. Allah'ın dini uğruna nasihat etmek, müdafaa yapmak gibi diyaloglarda ortaya konan diğer hedeflerin yanı sıra bu durum birçok yerde açıkça ortaya konmuştur.

Anahtar Kelimeler : Ayetler; Diyalog; Kardeşler; Arkadaşlar; Belagat.

ABSTRACT

This study analyzes the Quranic verses that include dialogues between siblings and companions from a rhetorical perspective. It examines the narrative and constructive styles, sentence structures, abbreviation, hyphenation, elision, conciseness, prolixity, and other styles. It also examines the rhetorical figures and their stylistic features. These dialogues include the dialogue between Abel and his brother Cain, Moses and his brother Aaron, Jesus and his disciples, the Prophet Muhammad and Zaid bin Haritha, and the dialogue between the Companions of the Cave. The researcher attempts to reach the features of these dialogues and their great meanings through rhetorical analysis. The study starts from the following questions and problems: Did the styles used in the dialogues of siblings and companions deviate from the apparent meaning? What are the most commonly used styles in these dialogues? What is the general atmosphere that the Quran has depicted for the conditions of these two categories?

The researcher aims to achieve various goals through this study, including: Understanding the meanings of the styles that appeared in the dialogues between the two categories. Highlighting the divine purposes and signs of miracle that God wanted to show people in these dialogues. Understanding the depths of the soul and what it contains of good or evil and the different states that afflict it.

The study reached a number of results, the most prominent of which are: The great diversity of rhetorical figures and expressive styles that showed those meanings and implications, especially since most of the styles have deviated from the apparent meaning to other meanings revealed by the research.

The Quran draws attention to the danger of the issue of envy between peers on the one hand, and focuses on the trait of tolerance and forgiveness on which this bond lasts on the other hand, which is clearly evident in many places, in addition to other purposes shown by the dialogues such as advice and solidarity for the sake of God's religion.

Keywords: verses; dialogue; brothers; companions; eloquence.

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	Kardeşler ve Arkadaşlar arasındaki Diyalogları İçeren Ayetler: Belagat Yönünden Bir İnceleme
Tezin Yazarı	Mohammed Saeed AHMED
Tezin Danışmanı	Dr. Öğr. Üyesi Salih DERŞEVİ
Tezin Derecesi	Yüksek Lisans
Tezin Tarihi	07.05.2024
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	176
Anahtar Kelimeler	Ayetler; Diyalog; Kardeşler; Arkadaşlar; Belagat

بيانات الرسالة للأرشفة (باللغة العربية)

عنوان الرسالة	آيات حوار الإخوة و الأصحاب دراسة بلاغية
اسم الباحث	محمد سعيد احمد
اسم المشرف	الأستاذ المساعد د. صالح دير شوي
المرحلة الدراسية	الماجستير
تاريخ الرسالة	2024/05/07
تخصص الرسالة	العلوم الإسلامية الأساسية
مكان الرسالة	جامعة كارابوك - معهد الدراسات العليا
عدد صفحات الرسالة	176
الكلمات المفتاحية	الآيات ، الحوار، الإخوة، الأصحاب، البلاغة

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name of the Thesis	The verses of the dialogue of brothers and Companions/ rhetorical study
Author of the Thesis	Mohammed Saeed AHMED
Advisor of the Thesis	Asisst. Prof. Dr. Salih DERŞEVİ
Status of the Thesis	Master
Date of the Thesis	07.05.2024
Field of the Thesis	Basic Islamic sciences
Place of the Thesis	UNIKA/IGP
Total Page Number	176
Keywords	verses; dialogue; brothers; companions; eloquence

موضوع البحث

يتناول البحث آيات الحوار التي دارت بين الإخوة والأصحاب دراسة بلاغية ، مستعينا بالقواعد البلاغية والوسائل البيانية على استخراج لطائف وأساليب هذه الحوارات.

أهداف البحث وأهميته

1- تهدف الدراسة في هذا البحث للكشف عن دلالة حوار الإخوة والأصحاب في القرآن الكريم.

2- الوقوف على روعة النص القرآني وبيان جمالية أسلوبه وما احتواه من أسرار بيانية.

3- بيان تنوع الأساليب البلاغية في صور الحوار

4- الوقوف على سمات ومعاني الإخوة والصحبة، وكشف ما احتوته تلك الحوارات من معاني عظيمة ومعالم خاصة، من خلال الأساليب المستعملة في الحوار.

أهمية البحث

- تنطلق أهمية البحث من كونه بحثاً في آيات من كتاب الله الذي جعله الله نورا وهدى وموجهاً للسلوك الحسن.

- دراسة بلاغية لآيات حوار الإخوة والأصحاب أسأل الله أن تكون وافية لبيان الإعجاز القرآني في نقل هذه الحوارات على أعلى وجه ومن ثم بيان المعالم القيمة بين هاتين الفئتين.

- حاجة الأمة إلى بيان معاني الإخوة والصحبة من خلال هذه الآيات، لاسيما وهي اليوم في قمة مراحل الضعف والتفريق.

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي الاستقرائي دراسةً وتفسيراً وتحليلاً للأساليب البلاغية الواردة في آيات حوار الإخوة والأصحاب.

مشكلة البحث

تسعى الدراسة إلى ردم الفجوة البحثية التي تتمثل في محاولة النفاذ إلى الربط بين قوانين التركيب وقضايا البلاغة في الخطاب القرآني من خلال آيات حوار الإخوة والأصحاب في القرآن الكريم على المستويين النظري والإجرائي (التطبيقي)، وهي بذلك تحاول الابتعاد عن الدراسات السابقة التي درست موضوع الحوار في النص القرآني، وهذه الممارسة البحثية تفحص وتدقق في النكت الدلالية والخفايا البلاغية والتي لم تتطرق إليها الدراسات السابقة، وكذلك تحاول دراسة وتحليل أقوال المفسرين والبلاغيين في هذه المسائل والخروج بأفكار جديدة تدعم هذه الدراسة البحثية.

أسئلة البحث

ولكن ثمة تساؤلات تجري حول هذه الحوارات وهي:

- كيف تجلت روعة البيان القرآني في تعبيرها عن حوار الإخوة والأصحاب؟

- هل كان للإخوة والصحبة من أثر في أساليب الحوار؟

- هل تنوعت الجوانب البيانية والبلاغية في صيغ الحوار؟

حدود البحث ونطاقه

حُدِّدَ البحث بالآيات القرآنية الكريمة فقط، والتي دار الحوار فيها بين الإخوة والأصحاب وهم إخوة النسب وما هو متعارف عليه في الصحبة وتمثل الحوارات فيما يلي: 1- حوار هابيل وقابيل 2- حوار موسى وهارون 3- حوار يوسف وإخوته 4- حوار صاحب الجنتين مع صاحبه 5- حوار الإخوة أصحاب البستان، وأما حوار الأصحاب ففيه 1- حوار عيسى والحوارين 2- حوار النبي صلى الله عليه وسلم والصديق 3- حوار النبي مع زيد 4- حوار صحبة الكهف 5- حوار موسى مع فتاه يوشع 6- حوار موسى مع الخضر 7- حوار امرأة العزيز مع صويحباتها 8- حوار يوسف مع صحبة السجن .

المشكلات التي واجهت الباحث

وقد كان الباحث حذرا في التعامل مع النص القرآني خشية القول على الله بلا علم، وقد كان هذا الأمر من الصعوبة بمكان؛ لذلك جرت المنهجية في البحث على الوقوف عند أقوال المفسرين عند إنزال القواعد البلاغية وتحليل الآيات عندها ومن ثم الرجوع إلى أقوال وطريقة أئمة البلاغة عند تحليلهم للنصوص، وكذلك مراجعة تراث المعاصرين لا سيَّما وقد سهَّلوا على الباحثين الطريق فيما ألفوه من كتب تناولوا فيها تحليل نصوص الكتاب والسنة وأشعار العرب، وبعد توفيق الله كان مشرفي الفاضل خير معين بمتابعته الدقيقة لذلك (جزاه ربي عني خير الجزاء).

الدراسات السابقة

توجد بعض الدراسات السابقة للحوار بمجمله نورد منها ما يلي:

1- بناء الجملة القرآنية في آيات الحوار مع المشركين/عايض فهيد القحطاني

تناولت هذه الدراسة آيات الحوار مع فئة المشركين فقط، حيث اشتملت على ذكر عوارض التركيب من تقديم وتأخير وحذف، وترايط الجمل في الحوار من خلال المبتدأ والخبر، وكان جل تركيز البحث على بناء الجملة في هذه الآيات من خلال النفي والإثبات الوارد في الحوار، وافتقرت هذه الدراسة لبقية الأساليب البلاغية.

2- بلاغة وطبيعة الحوار في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذج/بلمعزير حمزة

تناولت هذه الدراسة الحوار في سورة يوسف، وقد أكثر الباحث في هذه الدراسة من المقدمات العامة عن الحوار وتعريفه وأنواعه وطرقه وغيرها من الموضوعات الجانبية، ولم تُعطَ الدراسة حقها، ولم يأخذ العنوان من الدراسة إلا الشيء اليسير، حيث كان حظه فصلا واحدا تناول الباحث فيه صورا عامة عن الحوارات في هذه السورة.

3- الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم دراسة دلالية بيانية/هالا سعيد محمد مقبل

ورد في هذه الرسالة ذكر أنواع الحوارات في القرآن الكريم كحوار الأنبياء والملائكة وغيرها من الحوارات ذكرا موضوعيا مجملا، وقد فصلَ الباحث في ذكر هذه الحوارات وأنواعها وأطال التفصيل في ذكر كل نوع، ولم تأت الدراسة التطبيقية الدلالية إلا في الفصل الأخير حيث اشتملت على ذكر دلالة الأصوات والحذف والتقديم والتأخير وبعض الدلالات الصرفية، وذكر بعض الأساليب الإنشائية، والصور البيانية كالاستعارة والتشبيه والمجاز.

4- لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية/فواز سهيل كامل نزال

عرضت هذه الدراسة طبيعة التركيب اللغوي في نصوص الحوار القرآني من خلال الواجهة الإسلوبية التي تساعد على ربط الصياغة اللغوية بجمالياتها التعبيرية، وقد ركزت هذه الدراسة على المستوى التركيبي، وقد

تناولت أغلب الأساليب البلاغية عند التطبيق على النصوص بخلاف الدراسات السابقة، حيث تعتبر هذه الدراسة من أفضل الدراسات التي تناولت عموم الحوار لشمولها أغلب الأساليب البلاغية.

عنيت بعض الأبحاث السابقة بمجمل الحوار في القرآن الكريم وبيان أسلوبه ودوره وأثره لكن قلماً تناولت أنواع الحوارات التي جاءت في القرآن الكريم على جهة الأفراد بين الفئات، ولم تعط حقها من دراسة الجوانب البلاغية منها والبيانية وإخراج اللطائف وصولاً إلى القيم والعبر التي فيها، وهذا ما سيجريه البحث من خلال دراسة آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب؛ لذلك مما يستجد في هذا البحث كونه مخصوصاً بهذه الفئة، ومن جهة أخرى يتناول جميع الآيات في الحوار لأجل الدراسة وليس عينة منها، مع عدم الاستغراق في المقدمات وتحرير القواعد البلاغية والتي أخذت حيزاً فيما سبق.

تمهيد

قُسِّم التمهيد إلى ثلاثة محاور الأول بعض التعريفات لعنوان البحث والمحور الثاني ثبت لآيات حوار الإخوة والمحور الثالث ثبت لآيات حوار الأصحاب، مع بيان معالم هذه الحوارات التي وقف عليها الباحث عند دراسته لهذه الآيات، وإبراز معالم الإخوة والصحة فيها، والمقاصد التي أشارت إليها.

المحور الأول: بعض التعريفات لعناصر البحث

أولاً: الحوار لغةً واصطلاحاً

الحوار لغةً: يرجع للجذر اللغوي (حور) الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وَإِلَى الشَّيْءِ، حَارَ إِلَى الشَّيْءِ وَعَنَّهُ حَوْرًا وَمَحَارًا وَمَحَارَةً وَحُورًا: رَجَعَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ¹

¹ - محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ)، (ح و ر) 217/4.

فالحوار والمحاورة عند ابن منظور هو "مراجعة المنطق والكلام في المخطابة وقد حاوره"¹ وأما عند الراغب كلمة الحوار أصلها من التردد؛ لذلك جعل الحوار هو: "المرادّة في الكلام ومنه التحاور"² واستدل بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ﴾ [المجادلة: 1] إذا فالحوار هو: "مراجعة الكلام بين متكلمين"³

وقد وردت كلمة الحوار في هذه الآية وفي الآيتين في سورة الكهف التي سيجري الكلام عنها .

ثانياً: الإخوة لغة واصطلاحاً:

الأخ أصله الثلاثي من (أ خ و)، ويقال أصل الكلمة من (وخي) أي قصد، وسمي الأخ بذلك لأنه يقصد قصد أخيه، فقلبت الواو همزة، و الأخ من النسب معروف، والاثنان أخوان، والجمع إخوان وإخوة⁴، وقد رد ابن منظور على أهل البصرة ما قالوه: أن الإخوة في النسب والإخوان في الصداقة، وقد استدل عند رده بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] ولم يقصد بهذه إخوة النسب، وقوله تعالى: ﴿أَوْ بُيُوتٍ إِخْوَانِكُمْ﴾ [النور: 61] والمقصود هنا إخوة النسب،⁵ وقد ورد في اللغة تصريفات كثيرة لهذه الكلمة، وقد عرفها الراغب الأصفهاني بقوله: الأصل أخو وهو المشارك في الولادة من طرفين، أو أحدهما من الرضاع.. وفي كل مشارك لغيره في القبلة أو في الدين أو في صنعة أو مودة وغير ذلك من المناسبات⁶.

1 - ابن منظور, لسان العرب, 218/4.

2 - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن, (دمشق, بيروت: دار القلم الدار الشامية, 1412هـ), (ح و ر) 262.

3 - محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي, تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد, (تونس: الدار التونسية, 1984م), 319/15.

4 - ينظر: ابن منظور, لسان العرب, (أ خ و) 19/14, 22.

5 - بتصرف: ابن منظور, لسان العرب, 21/14.

6 - بتصرف: الراغب الأصفهاني, المفردات في غريب القرآن, (أ خ و) 68.

ثالثاً: الأصحاب لغةً واصطلاحاً

"الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ"¹، والأصحاب وهو في الأصل مصدر وجمعه أصحاب والصحبة اسم الجمع، وعند الأخفش (الصَّحْب) جمع،² وعند الراغب الصحاب الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو زماناً أو مكاناً، والصحاب في العرف هو من طالت صحبته وكثرت ملازمته والإصحاب للشيء الانقياد له،³ وعند المحدثين الصحابي "من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام"⁴.

المحور الثاني: آيات حوار الإخوة

أولاً: هابيل وقابيل

كان أول ورود لحوار الإخوة في القرآن الكريم هو حوار هابيل وقابيل، وذلك فيما قص الله تعالى من خبرهم بقوله: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِن لَّمْ يَئْتِنِي بِآيَةٍ بَدَلَهَا لَأَكُونُ مِنَ الَّذِينَ أَتَى اللَّهَ بِقُرْبَانٍ كَرِيمٍ ٢٨ وَإِنِّي أُرِيدُ الْإِنشَاءَ لَأَكُونُ مِنَ الَّذِينَ أَتَى اللَّهَ بِقُرْبَانٍ كَرِيمٍ ٢٩ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ فَصَبَّحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 27-31] وقد كان هذا الحوار ناجماً بعد قربان جرى بينهما وقصة

1 - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، (ص ح ب) 3/335.

2 - بتصرف: ابن منظور، لسان العرب، (ص ح ب) 1/520.

3 - بتصرف: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 476، 475.

4 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، (القاهرة: دار المأثور، 2011م)، 129.

سيأتي ذكرها من خلال الدراسة التطبيقية للآيات، وحاصل الأمر أن في هذا الحوار صورة للإخوة والرابطة التي سعى الشيطان لإفسادها؛ وذلك من خلال إثارة الغيرة والتحاسد بينهما، فالحوار هنا يبرز صورة للأخ والنفس البشرية التي غلب عليها الشر والعدوان وعدم تقبل التفاضل، وصورة أخرى للأخ والنفس البشرية التي فوضت أمرها لله وكفت عن معصية الله، وأنه لأمر يصعب على النفس في مثل هذا الموقف، وإن كان ما ذكره أهل التفسير أن هايبيل كان أقدر على أخيه القاتل قابيل ولكنه كفَّ طواعية لله¹ ولكن الخاسر قابيل أقدم على ما أراد وطاوعته نفسه و وقع فيما حرمه الله فأصبح من النادمين ولم ينفعه الندم بعد أن تجرأ على معصية الله وخسر الأخ والمعين والسند، وقد شرع الله عز وجل بعد هذه الحادثة حدوداً لحفظ هذه الرابطة التي أمر الله بصيانتها وحفظها.

ثانياً: حوار موسى وهارون

كان في هذا الحوار صورة مشرقة للإخوة التي يحبها الله و يرضاها وكانت معلماً من معالم الخير والصلاح هي إخوة موسى وهارون، وقد ورد الحوار بينهم في قوله تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هرون أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ [الأعراف: 142] وكان هذا الحوار وهذه الوصية بعد أن مضى موسى لميقات ربه واستخلف أخاه هارون على قومه؛² وذلك لإدارة شؤونهم وصلاح أمرهم، وفي هذا الحوار إشارة قرآنية على ما ينبغي أن تكون عليه رابطة الإخوة من حمل هم الدين ومسؤولية تبليغ الشرائع، ثم ورد الحوار بينهما أيضاً بعد أن رجع نبي الله موسى من ميقات ربه و وجد قومه قد عبدوا العجل، فقد دار بينهما ما قصه الله في قوله تعالى: ﴿قال يهرون ما منعك إذ رأيتهم ضلواً ٩٢ ألا تتبعن أفصيت

¹ - ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ)، 39/2.

² - ينظر: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م)، 277 /7.

أمري ٩٣ قال بينوم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقّب قولي ﴿طه: 92-94﴾ الآيتين في سورة الأعراف وطه وكان هذا الحوار والاستفهام من نبي الله موسى ظنا منه أن هارون قد قصر فيما استخلفه عليه¹؛ وذلك بعدم مؤاخذه من عبدوا العجل فأجابه بقوله: ﴿قال ابن أمّ إنّ القوم أستضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ [الأعراف: 150] والحوار هنا بمجمله يبرز قيمة عظيمة للإخوة التي راعت نعمة التأزر والتآخي والتي أفصح عنها القران على لسان موسى في أول أيام تحميله أعباء الرسالة؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَل لِّي وَرِثًا مِّنْ أَهْلِي ٢٩ هٰرُونَ أَخِي ٣٠ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ٣١ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾.

ثالثاً: حوار يوسف وإخوته

كان بداية هذا الحوار ما حصل من تحاور بين الإخوة من دون نبي الله يوسف، وذلك حينما اجتمعوا للتحاسد والتآمر على أخيهم وذكر الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨ أَفَتُلْوَ لِيُوسُفُ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن ُّ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ٩ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَفْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِي غِيبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: 8-10] ومضى هؤلاء الإخوة على ما عزموا عليه وخططوا له من الإيقاع بأخيهم، وكان مبتدأ ذلك حديثهم مع أبيهم، ثم جرى الحوار بعد سنين طوال، ومصاعب ألمت بهم و الجئتهم إلى من فرطوا به وآذوه، وسبحان الله على تقديره العجيب، فجرى الحوار فيما قصه الله تعالى في قوله: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي

¹ - ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، 428/3.

بِأَخ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٥٩ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ٦٠ قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿ [يوسف: 58-61] وقد طالبهم بنيامين فكلمه وصارحه بقوله: ﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ثم امتد الحوار بعدها حسب ما اتفق عليه يوسف وبنيامين¹؛ وذلك بإجراء حادثة الصواع لكي يبقى بنيامين عنده ثم جرى بعدها ما ذكره الله: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْتَهَا الْعِيبُ إِنَّكُمْ لَسُرُفُونَ ٧٠ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ٧١ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ٧٢ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سُرِقِينَ ٧٣ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ ٧٤ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ٧٥ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ٧٦ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخَا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٧٨ ﴾ [يوسف: 70-78] وقد تم إبقاء بنيامين ويئس الإخوة من رجوعه معهم، حتى كان ما قصه الله من تشاورهم في هذا الأمر ثم بعد أن رجعوا إلى أبيهم واخبروه بما حصل، وكان ما ذكره الله من حال يعقوب على فقد ولديه، وتوجهوا بعدها إلى يوسف بأمر من أبيهم فجرى حوار المصارحة والمكاشفة بعد أن رق لهم لما شاهدته من حالهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ٨٩ قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ

¹ - ينظر: محمود بن عمر بن أحمد الزخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (القاهرة: دار الريان للتراث، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، 489/2.

يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ٩٠. قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَطِئِينَ ٩١ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُوكُمُ اللَّهُ وَهُوَ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٩٢ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْتَوِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ
 ﴿يوسف: 88-93﴾ وقد كان في هذا الحوار منافع عظيمة ومناقب كريمة أظهرها الله في نبيه يوسف؛
 وذلك من خلال صبره وحلمه ثم صفحه وعفوه عن إخوته كيف لا وهو النبي الكريم.

رابعاً: حوار الإخوة أصحاب البستان

أظهر الحوار بين هؤلاء الإخوة في هذه الآيات صور الإخوة الذين خالفوا ما كان عليه أبوه من خير
 وعطاء حيث اجتمعوا على منع ما كان يصل الفقراء من هذا الخير فتناول هذا الحوار صورة هذه النفس
 التي غلب عليها الشح والبخل،¹ وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَشُونَ
 ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ٢١ أَنْ
 أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صُرِمِينَ ٢٢ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ٢٣ أَنْ لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ
 مَسْكِينٌ ٢٤ وَعَدَدُوا عَلَيَّ حَرْدٌ قَدِيرِينَ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم:
 17-27] ثم أبرز الحوار دور الأخ الناصح والمريد للخير والناهي عن الشر الذي جاء في قوله: ﴿قَالَ
 أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ
 يَتَلَوَّمُونَ ٣٠ قَالُوا لِيُؤْيَلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٣١ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رُغَبُونَ ٣٢﴾ [القلم:
 28-32] ثم ختم الحوار ببيان ندمهم على ما عزموا عليه وهموا بفعله حينما شاهدوا جنتهم محترقة،
 فأعلنوا بعدها توبتهم ورجوعهم إلى الله جل في علاه، وفي هذه الآيات التي أظهرت معانيها من خلال

¹ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 1978.

صورة الحوار بين الإخوة ثمة دلائل وإشارات يشير إليها الوحي لبيان ظاهرة مجتمعية تكثر بين هذه الرابطة المتماثلة في إخوة النسب، وإن كان أصل الحوار مثل ضُرب لقريش، الذين كفروا بنعمة الله المتمثلة بنبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم¹، حيث كما أنكر هؤلاء الإخوة نعمة الله عليهم بأن يؤدوا حقها بالشكر من خلال الصدقة و الزكاة قابلوها بالكفران المتمثل بالمنع والبخل، كذلك قريش قابلت نعمة النبوة والرسالة بالتكذيب والرد فهذا هو الأصل في إيراد الحوار، لكن كما تقدم ثمة إشارات إلى وجود اشكالات ومخالفات بين هذه الرابطة الأخوية ينبغي التحذير من الوقوع فيما وقع به هؤلاء القوم، وسيجري البحث من خلال التحليل إلى بيان ما تضمنه هذا الحوار.

خامساً: حوار صاحب الجنتين مع صاحبه

الحوار هنا قبيل بين أخوين أحدهما كان كافر والثاني مؤمن، وقيل هما من بني اسرائيل وقيل من قريش² وعلى كل فالحوار يتكلم عن المومن الشاكر لنعم الله والمشرك الكافر الجاحد لنعم الله؛ وذلك فيما أخبر الله عنهم: ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ ٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝ ٣٦ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۝ ٣٧ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ٣٨ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ ٤٠ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ [الكهف: 35-41] ففي الحوار دلالة على فضل الإخوة والصحبة الصالحة وقيامها بدور النصح والإرشاد، وبيان حال

¹ - ينظر: البغوي , معالم التنزيل, 5/ 137.

² - ينظر: التعلبي, الكشف والبيان عن تفسير القرآن, 6/ 169.

الإخوة والصحبة الفاسدة التي همها الفخر والتطاول، كما هو الحال في أصحاب الغطرسة والنقائص، ومن ثم فإن الأساليب البلاغية في هذا الحوار كشفت عن معان عظيمة في طياته، وسياتي ذلك في الدراسة التحليلية كيف راعى الصاحب المؤمن الأولويات في رده على المتفاخر، ثم بيان مآل كل واحد منهما، وذكر أهل التفسير أن هذا الحوار امتد وذكر خاتمته في سورة الصفات حينما صار مآل كل واحد منهما إلى الجنة أو النار، وذلك فيما قص الله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ٥٣ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَأَلَّهَ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمَحْضَرِينَ ٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ ٥٩ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٠ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصفات: 51-60] والحوار في هاتين السورتين يكشف عن صورة متكاملة لحال هذين الصاحبين في الدنيا والآخرة، وتصف الحال الذي عليه كثير من الصحبة بين الغني والفقير والمؤمن والكافر وسيجري البحث في كشف المعاني التي دلت عليها الأساليب البلاغية في هذا الحوار.

المحور الثالث: حوار الأصحاب

أولاً: حوار نبي الله عيسى مع الحواريين:

جرى هذا الحوار بين نبي الله عيسى والحواريين والذين هم أصفياء وخلّاص أصحابه¹ فهم لم يكونوا مجرد أصحاب بل كانت تجمعهم علاقة قوية وصلبة وثيقة، لذلك لا بد من الوقوف على هذا الحوار، وإظهار ما احتوى عليه من معاني حملته ودلت عليه الأساليب المستعملة فيه حتى يتبين موقف الصحبة في تلك الأوقات الصعبة، لاسيما وأن مثل هذه الحوارات كانت نبراساً يضيئ لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

¹ - ينظر: التعليق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 444/1، وناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ)، 19/2.

من أجل تحمل أعباء الدعوة وتبليغ الدين، وجرى ذكر الحوار في عدة مواطن من كتاب الله أولها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: 14] حيث كان مركزية الأمر في هذا الحوار هو بيان الاجتماع على طاعة الله ونصرة دينه وهذه مسألة بالغة الأهمية؛ لذلك جاء الوحي بالتنبيه عليها ومن ثم بيان أدب ولطف هذه الصحبة حين سألوا المائدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْنُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 112-113] فهذه جمل الحوار التي سيقف الباحث عندها من أجل دراسة أساليبها.

ثانياً: حوار النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع الصديق

جرى الحوار هنا بين النبي صلى الله عليه وسلم والصديق أبي بكر رضى الله عنه وأرضاه؛ وذلك عند تواجدهم في غار ثور حينما طلبهم المشركون فوقع الحزن في قلب أبي بكر خوفاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس خوفاً على نفسه،¹ فقال له رسول الله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40] كما صرح بذلك أهل التفسير وفي هذه الآية إبراز فضيلة الصديق إذ أجمع أهل التفسير على أن المراد بصاحبه هنا هو الصديق² والموقف الذي جاءت الآية بصدده يبرز معنى الصحبة الحقيقية؛ وذلك حينما يكون صاحب في أشد المواقف خطراً على النفس يكون موقف صاحب الشجاع هو

¹ - ينظر: أحمد بن محمد بن إبراهيم التعلبي أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، 47/5.

² - أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، دون تاريخ نشر)، 257/14.

الثبات أولاً ومراعاة سلامة المصحوب ثانياً وقد تحدثت كتب السير عن شجاعة الصديق وحرصه على سلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فإن الحوار يظهر موقف صاحب القائد المتمثل بشخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يظهر لصاحبه الثقة بالله عز وجل ويطمئنه ويصبره، فما برز من الحوار في هذه الآية على إيجازه فيه معان عظيمة تدل على معاني الصحبة والإخوة التي تحمل هم المعاني الشريفة والقيم النبيلة الزكية من خلال تبليغ دين الله، فثمة تناسب بين هذا الحوار وحوار موسى وهارون، وفيه اشارات ومقاصد لسمو هذه الروابط في تحمل أعباء الدين وتبليغ الرسالة.

ثالثاً: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع زيد

ورد هذا الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم والصحابي الجليل زيد بن حارثة وقد جرى هذا الحوار حينما استشار الصحابي زيد رضى الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في طلاق زوجته¹ حيث أشار النبي بقوله:

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 37] حيث أبرز هذا الحوار أثر الصحاب الأمين

المستشار كيف يشير لصاحبه ما هو أنفع له وأنصح، ففي هذا الحوار فوائد تربوية عظيمة تشير إليها وهي تقرر مشروعية الاستشارة بين الصحبة والموقف منها، وفي هذا الحوار أيضاً بيان فضيلة الصحابي زيد حيث أن الله سماه باسمه، ودور الصحاب في حفظ بيت صاحبه وإرشاده لما فيه خير له.

¹ - بتصرف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، 665.

رابعاً: حوار الفتية أصحاب الكهف

تتناول الآيات في هذا الحوار حديث مجموعة من الشباب كيف ساقتهم فطرتهم إلى الله عز وجل، ونبذهم الكفر والشرك الذي فرضه الحاكم الكافر دقيانوس الذي أمر بعبادة الاصنام¹، فقام هؤلاء الفتية الذين فروا بدينهم من غير تواعد بينهم معلنين إسلامهم وتوحيدهم كما قص الله عنهم: ﴿إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ عِزَابِهِم فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْسَنُ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ١٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ ءِإِنَّا لَنَدْعُوهُ لَإِنَّا لَنَافِكُونَ ١٤ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءِإِلٰهَةً لَّوْلَآءِ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلٰطٰنٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَيَنفِرُونَ فِيهَا ءِإِذْ يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَأَكْفٰرٌ ١٥﴾ [الكهف: 10-15] ثم بعد أن تكلم المولى عن رعايته لهم، وذلك بالضرب على أذانهم بالنوم ومن ثم إيقاظهم وذكر ما جرى من التحاوور بينهم في قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 19-20] والحوار في هذه الآيات فيه مقاصد عظيمة وإشارات بليغة عن إعلاء الإيمان لأصحابه وإن كانوا قلة أو صغرت أعمارهم، حيث أظهرت الآيات دور الصحبة في القيام بالعبودية لله واللجوء إليه، وسيأتي في البحث ما دلت عليه الأساليب البلاغية من تأكيدهم على توحيدهم لله، ونبذهم للكفر والشرك، وبيان مقاصد أخرى أشار إليها الحوار ألا وهو دور الصحبة في المحافظة على بعضهم لبعض والتواصي والتناصح فيما بينهم كل ذلك

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 17/ 606.

من أجل سلامة دينهم وعقيدتهم، وآيات الحوار فيها معالم مرشدة لما ينبغي أن تكون عليه الصحبة في الدنيا.

خامساً: حوار موسى ويوشع

هذا الحوار أصل في الصحبة لأجل طلب العلم والخدمة لأجل ذلك، والرحلة من أجل الأمور العظيمة، ومن معلمه أثر الصحاب على المصحوب حيث أن نبي الله موسى كان يعتمد عليه في كثير من الأمور ، كما أن يوشع قاد بني اسرائيل بعد نبي الله موسى¹ ، وبان أثر صحبته لنبي الله موسى كما بأن أثر صحبة رسول الله على الصديق وتولي الأمور من بعده، ومن معلمه تحمل المشاق في الرحلات الصعبة كما بان ذلك جلياً واتخاذ الصحاب لأجل العلم،² قال الله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ جَمْعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِي حُبًّا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِتَيْنَا عَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ٦٣ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64].

سادساً: حوار موسى و الخضر

وهذا الحوار متصل بحوار نبي الله موسى مع يوشع، وقد جرى هذا الحوار بين نبي الله موسى مع الخضر وفيه مسائل عظيمة نافعة ومقاصد كبيرة لا بد من دراسة موضوعية حتى يجمع ما كتبه أهل العلم في كتب متفرقة عن هذا الحوار وهذه الآيات ومن معلمه البارزة الاستزادة من طلب العلم ولو كان الإنسان نبياً مع

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 360/15.

² - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 11/11.

إظهار التواضع لمن يطلب العلم منه، كما فعل نبي الله موسى¹ ومن معاملة التلطف في الطلب والمشاورة وبيان رفيع أدب الطالب مع من يطلب منه كما أن هذا الحوار من معاملة عقد الاتفاق والاشتراط لأجل الصحبة والتزام الصاحب بذلك وسيظهر البحث في طياته الكثير من العالم التي حملتها هذه الآيات وهذا الحوار والتي لا توفيهما هذه المقدمة حقها، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ مُرْشِدًا ۖ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۖ ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ ٦٩ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ ٧٠ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكَبَا فِي الْسَفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ ٧١ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۖ ٧٣ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۖ ٧٤ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ٧٥ قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۖ ٧٦ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ ٧٧ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ ٧٨ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۖ ٧٩ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ ٨٠ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِيَهُمَا رُحْمًا حَيْرَانًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۖ ٨١ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ [الكهف: 66-82].

¹ ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن أثير الدين الأندلسي، البحر المحیط في التفسیر، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، 205/7.

سابعاً: حوار امرأة العزيز مع صويحباتها

جرى هذا الحوار بين امرأة العزيز وهو رئيس الجند وبين نساء رجال لهم مكانة في الدولة وهذه النسوة هن امرأة حاجب الملك، وامرأة صاحب الدواب، امرأة الخباز، وامرأة الساقي، وامرأة صاحب السجن وقيل هنّ نساء من أشرف مصر،¹ وهذا الحوار يتكلم عن طبقة من المجتمع معينة كيف يكون الحوار بينهم، وطريقة إنكارهم ثم بيان مكر بعض النساء ببعضهن، وفي أثناء هذا كله صبر وعزم نبي الله يوسف على عدم الاستجابة لهن والأساليب في هذا الحوار فيها دلالات عميقة في كيفية وصف النساء للأمر حيث أن كل جملة من جمل هذا الحوار فيها دلالات عجيبة على سياقات هذا الخبر عند هؤلاء النسوة كما سيتم تبين ذلك، حيث ورد من حوارهن: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَىٰ عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُلَهَا فِي ضَلَلٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حُشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصِمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: 29-32].

ثامناً: حوار يوسف مع صحبة السجن

يتناول هذا الحوار نوع صحبة قد تحصل للإنسان في هذه الحياة وهي صحبة السجن حيث المكان الذي لا يوصف من شدة الابتلاء فيه والحوار هنا جرى بين نبي الله يوسف وهذين الشابين وهما ساقي الملك

¹ - بتصرف: البغوي، معالم التنزيل، 236/4، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 161/3.

والخباز،¹ ومن معالم هذا الحوار أثر الصحبة الصالحة التي أظهرها نبي الله يوسف وذلك من خلال إحسانه وعطفه على الناس حتى شاهده وأحياه كما سيذكر ذلك عند تحليل الآيات كيف أن صاحب الذي فيه خير وصلاح يظهر أثره من خلال نصحه وإرشاده لمن يصحب وإن كان في أشد الأماكن ضيقاً وأكثرها جوراً حيث أن نبي الله يوسف لم يكتف بسماع الرؤيا وتأويلها بل شرع بدعوتهما إلى الله عز وجل بأسلوب جميل ولطيف راعى فيه الأولويات في العقيدة والإيمان أولاً وتحذيرهم من الخطر الأعظم وهو الكفر والشرك وبيان بطلان الآلهة التي يعبدونها متخذاً أساليب عجيبة ستظهر في الدراسة التحليلية كل ذلك من أجل إرادة الخير لهم والصلاح والنجاة مما هم فيه، ثم شرع بتبيين الرؤيا لهم وهذا الحوار فيه منافع عظيمة جمة لأثر الصحبة في الدعوة إلى الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِمًا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ تَوَاتَبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨ يُصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠ يُصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ٤١ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 35-42].

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان، 95/16.

الفصل الأول: آيات حوار الإخوة والأصحاب في ضوء الأساليب الخيرية والإنشائية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأساليب الخيرية، وفيه

تمهيد: تعريف الأساليب الخيرية ومدخل للموضوع

المطلب الأول: غرض الخبر الأساسيان

المطلب الثاني: أغراض الخبر البلاغية

المطلب الثالث: أضرب الخبر

المطلب الرابع: مراعاة أحوال المتكلم

المبحث الثاني: الأساليب الإنشائية، وفيه

تمهيد: تعريف الأساليب الإنشائية ومدخل للموضوع

المطلب الأول: أسلوب الأمر

المطلب الثاني: أسلوب النهي

المطلب الثالث: الاستفهام

المطلب الرابع: النداء

المبحث الأول: الأساليب الخبرية

ذكر الخطيب القزويني في تعريفه للخبر والإنشاء "الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما يكون لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، الأوّل الخبر والثاني الإنشاء"¹.

وقيل في تعريفه: "هو الكلام الذي يحتمل الصّدق والكذب، باعتبار كونه مجرد كلام، دون النظر إلى قائله"².

ولما كانت الأساليب الخبرية أكثر تعرضاً للتأكيد من عدمه من الأساليب الإنشائية، وكان الخبر هو المقصود الأعظم عند البلاغيين والأدباء، ولكون الخبر أصل في الكلام، والإنشاء يحصل بالاشتقاق منه، ولكونه أعظم شأنًا وأكثر فائدةً وبه يُنصّر بالصور الكثيرة، وبه تقع الصياغات العجيبة؛ ابتدأ العلماء به³.

والأخبار في آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب جاءت متعددة، ما بين أخبار على حقيقتها، أو أخبار جاءت تدل على أغراض بلاغية أخرى، تطابق فيها مقتضى الحال وتلازم فيها المقام، ثم إنّ من الأخبار ما جاء خالياً من التوكيد وآخر لازم التوكيد، والأخبار في هذه الآيات جاءت تدل على أصل الأغراض للخبر وهو الفائدة أو لازمها، ولكن كثيراً منها خرج عن هذين الغرضين إلى أغراض أخرى سيتناولها البحث مبيناً معانيها وما تدل عليه حسب القواعد البلاغية التي وضعها العلماء .

¹ - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، القزويني الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة، (بيروت: دار الجيل، 1993م)، 55/1، 56/1.

² - عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميّداني الدمشقي، البلاغة العربية، (بيروت: دار القلم، 1416هـ - 1996م)، 167/1.

³ - ينظر: محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، (بيروت: المكتبة العصرية، 1428هـ - 2007م) 313/1.

المطلب الأول: غرض الخبر الأساسيان

أولاً: فائدة الخبر:

"فائدة الخبر تحصيل العلم للمخاطب"¹ كقولك (جاء زيد) لمن كان يجهل مجيئه، وقد ورد في آيات الحوار أخبار كثيرة كان الغرض منها هو إفادة السامع ما تتضمنه الأخبار من أحكام يجهلها السامع منها ما ورد في الحوار بين ابني آدم هابيل وقابيل بعد أن تقدّم كل منهما بقربانه فقال الذي لم يُقبل قربانه: ﴿أقال لأقْتُلنك﴾ (المائدة: 27) ملقياً بهذا الخبر المتضمّن لإفادة الحكم على أخيه، حيث أراد أن يعلن له عن ما بيّته من شرٍ من دون أن يراعي حق الأخوة التي بينهم أو يقيم لها وزناً، فالأمر لم يكن معلوماً عند أخيه؛ ولكنّه أعلمه به وهذا شأن الغرض الأول من أغراض الخبر ودلالته البلاغية وهو حصول الفائدة التي لم يكن العلم بها من قبل.

ومن الأخبار المتضمّنة إفادة الحكم، ما ورد في حوار نبي الله عيسى مع الحواريين وذلك حين سأل من ينصره بتبليغ دين الله؟؛ حينها أجاب الحواريون بقولهم: ﴿نحن أنصارُ الله﴾ (آل عمران: 52) كان جوابهم هذا متضمناً لحصول فائدة الخبر والتي كان يطلبها نبي الله عيسى من أصحابه، وقد أعلنوا ذلك بكل صراحة من دون خوف أو تردد بسبب ما قد يحصل لهم من مكر اليهود؛ ولكن هذا شأن الصحبة الصالحة في المواقف الصعبة والتي تتطلب منهم الوقوف والتضحية... وهكذا يأتي الغرض البلاغي الأول كاشفاً عن هذه الفائدة التي حصلت في هذا الحوار.

¹ - بماء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، 116/1.

ثانياً: لازم الفائدة:

أي "وهو ما يستفاد منه كون المخبرُ عالماً بالحكم"¹ نحو قولك لمن يحفظ القرآن، أنت تحفظ القرآن، وإتّما سمي لازم الفائدة لأنّه يلزم من إفادة المخاطب الحكم أنّ المتكلم عالم بحاله، فالمراد هنا لازم الخبر.

وقد ورد هذا الغرض في آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب، وذلك على لسان إخوة نبي الله يوسف في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾ (يوسف: 8) فهم هنا لم يريدوا إفادة الخبر؛ وذلك لكونهم على علم بحبّ أبيهم ليوسف وأخيه ولم يشكّوا في ذلك ولكنهم لم يكونوا متساوين في الحسد والغيرة؛ وإتّما أراد بعضهم إقناع بعض بإظهار أنّهم على علم بتفضيل أبيهم ليوسف وأخيه عليهم، وهذا على سبيل غرض لازم الفائدة، وإلقاء الخبر بهذه الصيغة المراد منه توصلهم لإقناع بعضهم لبعض على الإضرار بيوسف، وافتتح القول بلام الابتداء المفيدة للتوكيد قصد من ذلك تحقيق الخبر وتأكيد لازمه².

ومّا ورد في هذا الغرض من الحوار بين نبي الله يوسف وإخوته بعد سنين مضت من الآلام والأوجاع والفقْد والحِرمان، كان اللقاء به بعد أن عرّفهم بنفسه وأخبرهم بصنيعهم وما فعلوا به، قالوا له: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: 91)، أرادوا أن يخبروه بحصول العلم عندهم وبيانه بأنّهم على علم بأنّ الله فضّله عليهم واختصّه من بينهم وتما يقينهم وتسليمهم لهذا الأمر، دل على ذلك "صِغَةُ الِيمِينِ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي لَازِمِ الْفَائِدَةِ"³، إذ ليس المقصود من هذا الخبر إفادة نبي الله يوسف وإعلامه

¹-السبكي، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، 116/1.

²-ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، 220/12.

³-المصدر السابق نفسه، 50/13.

بهذا الخبر لعلمه بهذا الأمر؛ ولكنهم أخرجوا هذا الخبر على طريقة غرض لازم الفائدة؛ وذلك زيادةً في اعتذارهم منه.

المطلب الثاني: أغراض الخبر البلاغية

ويذكر البلاغيون أنّ هنالك أغراضاً أخرى بلاغية يأتي الخبر لها، وتُفهم من سياق الكلام¹، وتعرف من قرائن الأحوال، وهي متنوعة متعدّدة، "وهذه المثيرات هي خواطر النفس وهواجسها، ولا يتصدّى عاقل لحصرها"².

وقد ورد في أساليب الجمل الخبرية في آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب جملة من تلك الأغراض :

1- التعريض:

وقد ورد هذا الغرض في حوار الرجل المؤمن مع صاحب الجنّتين، في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: 38) حيث أراد أن يُعرِّض بصاحب الجنّتين بسبب ما هو عليه من كفر وإعراض وخلود إلى حطام الدنيا، ثمّ أراد أن يبيّن له ما هو عليه من الإيمان بالله وأنه مخالف لما عليه صاحب الجنّتين³. وكذلك ورد التعريض في قوله تعالى عن إخوة يوسف: ﴿إِن كُنتُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (يوسف: 70) فيوسف يعلم أنّهم لم يسرقوا شيئاً، ولكن كان هذا من باب التعريض بهم، وإشارة إلى أنّهم سرقوا يوسف من أبيه⁴.

¹- ينظر: محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، 351/1.

²- حسن بن إسماعيل بن حسن الجناحي، النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، 124.

³- ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ)، 265/8.

⁴- بتصرف: جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ)، 457/2.

وكذلك في قوله تعالى على لسان يوسف : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف:90) ففائدة الخبر هنا معلومة عند إخوته فهم أبناء نبي يعلمون مثل هذه المسائل، ولكن أراد أن يُعَرِّضَ بهم بأنهم لم يصبروا ولم يتقوا الله فيه وفي أخيه، وأنَّ أفضل الطرق للحصول على نعم الله وفضله هو لزوم التقوى والصبر، ثمَّ إنَّه صلى الله عليه وسلم استغل الموقف بالوعظ وحثَّهم على الصبر والتَّقوى، وبيان أنَّ ما حصل عليه من خير هو بلزوم هذين الأمرين¹.

2- الإنكار والاحتقار:

ورد هذا الغرض في سياق الجملة الخبرية في حوار أصحاب الكهف قال الله تعالى على لسانهم: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ (الكهف:15) أرادوا بيان ما عليه قومهم من الباطل بآلئآذهم آلهة غير الله، فساقوا هذا الخبر بالابتداء باسم الإشارة (هؤلاء) ومجيء المسند إليه هنا معرِّفاً باسم الإشارة للدلالة على احتقار قومهم بسبب ما هم فيه من الضلال، ثمَّ إنَّ الجملة في قولهم: (اتخذوا) والتي هي خبر عن اسم الإشارة كانت خبراً مستعملاً في الإنكار عليهم بسبب ما هم عليه من الضلال، ولم يكن هذا الخبر مسوقاً لإفادة المخاطب بفائدة الخبر؛ وذلك لأنَّ هذا الأمر كان معلوماً عندهم، ولم يُرد به لازم الفائدة بل كان القصد منه الإنكار على قومهم²، وهذا معلم من معالم الصَّحبة الصَّالحة المجتمعة على توحيد الخالق وإفراده بالعبادة .

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 49/13.

² - ينظر: شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 209/8، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 210/5، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 274/15.

3- التحذير:

كان ممّا ورد أيضاً في حوار أصحاب الكهف ما ذكره الله تعالى على لسانهم: ﴿إِنَّهُمْ إِذَا يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ (الكهف:20) في سياق هذه الجملة الخبرية يوصون صاحبهم ورسولهم الذي سيغلب لهم الطعام أن يكون على أشدّ الحذر من أن يتعرف عليه أهل المدينة فيفتضح أمرهم فيجبروهم على الرجوع للشرك والوثنية أو العذاب الشديدي، فالقاء الخبر لم يرد به فائدة الخبر فالأمر معلوم عندهم، ولم يرد به لازم الخبر كذلك؛ وذلك لأنهم على علم ببطش الحاكم وشدة سطوته، ولكنهم أرادوا تحذير صاحبهم الذي سيغلب لهم الطعام لكي يأخذ احتياطه وتحزّره، وأكد التحذير خوف الإجمار على العودة إلى ملتهم السابقة القائمة على الشرك وذلك لترتب عدم الفلاح في المستقبل، وفيه من شديد التحذير ما لا يخفى¹.

4- الافتخار والتكبر:

ومن الجمل الخبرية التي خرجت إلى خلاف مقتضى الظاهر؛ ما ورد في حوار صاحب الجنّتين مع أخيه أو صاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف:34) فليس الغرض من هذا الخبر إفادة المخاطب أو لازمه؛ وذلك لكون مدلول الصّحبة أو لازمها تبيّن أنّه على علم بحال صاحبه وسعة ملكه؛ وإنّما أراد إظهار الافتخار والتكبر والتّعالي على صاحبه، ويذكر أبو حيان في تفسيره أنّ الصاحب المتفاخر عليه

¹ - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 214/5. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 287/15.

كان يحاور صاحبه المتفاجر بالوعظ والإيمان بالله واليوم الآخر¹، فردّ عليه بافتخاره بكثرة المال وعزّ العشيّة، على عادة الكفار بالاغترار بحال الدنيا وحطامها.

5- التّهكم والسّخرية:

وفي سياق حوار صاحب الجنتين قوله: ﴿وما أظنُّ الساعةَ قائِمةً ولئن رُددتُ إلىٰ ربِّي لأجدنَّ خيراً منها مُتقلِّباً﴾ (الكهف:36) ذكر هذه الجملة الخيرية، وقد أراد التّهكم بصاحبه المؤمن الذي سبق وأن دعاه للإيمان، وقد ذكر أهل التفسير أنّه قال ذلك وهو يطوف في بستانه مع صاحبه، ومّا يدل على التّهكم قوله: ﴿قال ما أظنُّ أن تبيدَ هذه أبداً﴾ (الكهف:35) فإنّ العجب بحاله وماله وحسن منظر جنته قد جرّه إلى أمر عظيم، ثمّ إنّّه أكّد كلامه بالقسم ونون التوكيد مبالغة بالتّهكم².

6- الإنكار واللوم:

ويظهر هذا الغرض جلياً في حوار النّسوة صويحبات امرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿وقال نسوةٌ في المدينة امرأتُ العزيزِ تراوَدُّ فتاهاً عنّ نفسِه﴾ (يوسف:30) فإنّ الكلام دار بينهنّ، ويظهر أنّ كلهنّ على علم بهذا الخبر، بدليل الجمع في قوله (نسوة) وضمير الجمع في قوله (إنّا لنهاها)؛ وإنّما كان قصد النّسوة هو إنكار فعلها هذا ولومهنّ إيّاها في أنفسهنّ، و يا لعجب السّياق القرآني وإعجازه في بيان هذا الخبر فإنّ كل كلمة منه قد ضُمّنت ما أنكرن به على امرأة العزيز، فمنها وصفهنّ إيّاها بامرأة العزيز وهو الرجل الأكبر منصباً بالدولة كيف لامراته أن يصدر منها هذا الفعل، ثمّ إنّ المراد فتى رقيق، وهي من دعته

¹- ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 175/7.

²- ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 192/3، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 321/15.

لذلك، والأدهى من ذلك استمرارها في المراودة رغم إشاعة الخبر في المدينة،¹ وأما جملة: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ فهي لتكرير اللوم والتشنيع عليها.²

7- التعجيب:

ورد هذا الغرض البلاغي في قوله تعالى على لسان نبي الله يوسف في جوابه على إخوته ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ (يوسف:90) ففي قوله: ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ خبر استعمل في التعجيب، وكان هذا الجواب بعد أن استفهموا منه هل هو يوسف؟ فأجابهم بأنه هو يوسف، وزاد على ذلك بقوله وهذا أخي وهو معلوم عندهم يعرفونه فهو لم يغب عنهم لفترة طويلة؛ ولكن أراد بذلك بيان أنّ هذا أخي الذي ظلمتموه أيضاً، وفرّقتم بيني وبينه، فلقد جمع الله بيننا، ثمّ أنعم الله علينا بما تبصرون.³

هذه بعض أسرار الجمل الخبرية والتي خرج الخبر فيها عن مقتضى الظاهر، في آيات حوار الإخوة والأصحاب، وقد اشتمل البحث على تحليل جملة منها مبيناً أغراضها التي خرجت فيها عن مقتضى الظاهر، وقد كان هذا حال أغلب الأخبار الواردة في آيات الحوار كون هذه الفئة قريبة من بعضها، فالأخبار عندهم معلومة؛ لذلك جاءت الأخبار في الغالب لمعان بلاغية أخرى، ولم يكن قصد البحث إجراء دراسة إحصائية، علماً أنّ الأغراض التي خرج الخبر فيها عن مقتضى الظاهر لا تجري عليها قاعدة ثابتة؛ وإنما تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ويرى بعض البلاغيين أنّ دلالة الخبر على الغرض الأول، وهو فائدة الخبر دلالة حقيقية، لأنّ الفائدة تفهم من ذات الخبر من غير واسطة، أمّا بقية

¹ ينظر: محمد الأمين الهري، تفسير حدائق الروح والريحان في روي علوم القرآن، (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م)، 384/13.

² بتصرف: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 271/4، والظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 385/13.

³ ينظر: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، 553/2، والظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 49/13.

أغراض الخبر فيدل عليها دلالة تبعية¹، فهي من مستتبعات التراكيب؛ وذلك لأنها تفهم بمعونة السياق وقرائن الأحوال.

المطلب الثالث: أضرب الخبر

يُذكر أنّ أول من أشار إلى أضرب الخبر هو أبو العباس المبرد صاحب (الكامل) عندما سأله الفيلسوف الكندي، فقال: إني أجد في كلام العرب حشواً، فسأله عن صيغ في الكلام مختلفة ظناً منه أنّها تؤدي إلى نفس المعنى، وذلك في قول العرب، عبدالله قائم، و إنّ عبدالله قائم، و إنّ عبدالله لقائم، مستشهداً بهذه الصيغ المختلفة، ثمّ أجابه أبو العباس عن صيغ الأخبار وأساليب ورودها، فالأول جواب إخبار عن القيام، والثاني جواب عن السؤال، والثالث جواب عن الإنكار²، كل في موضعه مبيّناً دقة وصف العرب في البيان عن الأخبار، وكانت هذه القصة عند البلاغيين أصل في الحديث عن أضرب الخبر، وهي كالتالي:

1- الابتدائي :

وهو عندما يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي يتضمّنه الخبر، لذلك يلقي إليه الخبر مجرداً من التأكيد³، كأن يقال جاء زيد، لمن لا يعلم بمجيئه وكان خالي الذهن مصدق، ومن ذلك في آيات الحوار بين أصحاب الكهف بعد أن تساءلوا عن مدة بقائهم في الكهف فكان الجواب: ﴿قالوا ليتنا

¹ - ينظر: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، 41/1.

² - ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، 315/1.

³ - ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 120/1.

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿ (الكهف:19) جاء الخبر خالياً من التوكيد لخلو ذهنهم وعدم الداعي إلى التأكيد، وكذلك ما ورد في حوار نبي الله عيسى مع الحواريين حينما قالوا: ﴿إِمانًا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52] فَإِنَّهُمْ أَعْلَنُوا إِيمَانَهُمْ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدَهُمْ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَجَاءَتِ الْجُمْلَةُ خَالِيَةً مِنَ التَّوَكِيدِ عَلَى طَرِيقَةِ الضَّرْبِ الْإِبْتِدَائِيِّ.

2- الطلبي :

وهو أن يكون المخاطب متردداً في الحكم طالباً له، فيؤكد له الخبر بمؤكّد واحد ليزال عنه التردد¹، وتبين له الحقيقة، فيمكن الخبر في نفسه، كقول القائل لمن يشكُّ في نجاح عمرو، إنّ عمراً ناجحٌ، ومما ورد في آيات الحوار ما جاء بين نبي الله عيسى والحواريين وهم أصفياء أصحابه وخلاصهم²، ما ذكر الله في قوله على لسانهم: ﴿وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ (المائدة:113) وذلك في سياق الآيات التي بيّنت طلبهم المائدة من السماء، لبيان أنّ طلب المائدة ليس شكاً منهم، وإنما للأكل منها ليشرفوا على الناس بحصول هذا الأمر، وللتبرك بها، ولزيادة اطمئنان قلوبهم، فهم أرادوا الانتقال من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس، ولكون نزول المائدة أمر خارق للعادة، وذلك لأثره القوي في النفس، وفي هذا التساؤل شبه لسؤال نبي الله إبراهيم في طلبه أن يرى كيف يتم إحياء الموتى³، فكان جوابهم دفعاً لتردد نبي الله عيسى في طلبهم، وتمكيننا لطلبهم في نفسه وتقديره وتوضيحه، وذلك بعد أن أمرهم بتقوى الله رداً منه على طلبهم فكان جوابهم دفعاً لذلك، على طريقة الضرب الطلبي بالتأكيد، وكان

¹- ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 120/1.

²- ينظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)، 45، وأحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1423 هـ)، 124.

³- ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 102/2.

في بيان جوابهم على طلب المائدة أربع فوائد وهي طلب الأكل، واطمئنان القلب، وزيادة الإيمان، ويشهدوا عليها لمن يأتي بعدهم، ومما يظهر في سياقهم لهذه الأخبار: ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ فإنهم أكدوا هذا الخبر، وكأنّ في هذا الأمر مزيد اهتمام منهم، ليحصل لهم من مشاهدة نزول المائدة علم يقين و مشاهدة بالضرورة، فيكونوا أقدر على ردّ ما يواجهون من أمر الناس وما يعترضهم من الشبه عند استدلالهم، ودعوتهم للناس على الإيمان بنبوة عيسى¹.

ومن ذلك ما جرى في حوار نبي الله موسى وأخيه هارون، وكان قد استخلفه عليهم، وأمره بإصلاح أمرهم، فحينما رجع وجد قومه قد عبدوا العجل، فغضب غضباً شديداً فوجّه السؤال لهارون، "توهماً بأنّه قصر في كفهم"² عن عبادة العجل، وعدم نصحتهم، فأجابه نبي الله هارون بقوله: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي﴾ (الأعراف:150) مؤكّد بـ (إنّ) ردّاً لتوهمه، كما أنّه أدعى لقبول الخبر للتردّد الحاصل من تلك الحادثة العظيمة، وإن كان نبي الله هارون لا يُظنُّ به الكذب؛ ولكن بيّن له بأنّه عارضهم معارضةً شديدةً³، ولكنهم أصروا على عبادة العجل وهذا الضرب الطلبي غالباً ما يؤكّد فيه بعد أن يكون ردّاً على سؤال.

3- الإنكاري :

وهو أن يكون المخاطب منكرًا للحكم الذي تضمّنه الخبر، معتقداً غيره، فهنا يُؤكّد الخبر له بحسب الإنكار قوّة وضعفاً⁴، ويستحسن التوكيد كلما زاد الإنكار، ومما يُستشهد به على ذلك ما ذكر في سور

¹ - بتصرف: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 105/7.

² - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 35/3.

³ - ينظر: الزمخشري، الكشاف، 161/2.

⁴ - ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 120/1.

(يس) ، من زيادة التوكيد كلما زاد الإنكار، في قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، فيرى فيها زيادة التوكيد كلما زاد الإنكار.

ويرى هذا الضرب من الأخبار واضحاً جلياً في حوار الصاحب أو الأخ المؤمن مع صاحبه صاحب الجنّتين، فإنه لما ظهر منه الكفر والإنكار للبعث والساعة، وأظهر الغرور والتباهي بما عنده بجملة من الأخبار، رد عليه بما ذكره الله على لسانه في قوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف:38) وأجابه صاحبه المؤمن بجملة خبرية أكدت بأكثر من مؤكّد منكر ما هو عليه من اعتقاد فاسد، ثم بين له فيها عقيدته بالله واعترافه بخالقه بعدة مؤكّدات، الجملة الأسمية، وضمير الشأن في قوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ (أي شأني هو الله ربّي) وتعريف المسند والمسند إليه في قوله (الله ربّي)، والتوكيد اللفظي في قوله: ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا¹﴾ وقد أعلن بذلك موقفه بشجاعة ووضوح؛ فيقول إن كنت قد كفرت بالله، فأنا مؤمن، ولست بكافر، كأنه يقول له فأنا لا أرى الفقر والغنى إلا من الله فأصبر إذا ابتليت، وأحمد إذا أعطيت، ولا يكون ذلك دافعاً إلى الكبر، وهذا ردُّ على صاحبه الكافر الذي اعتر بكثرة ماله، وقد سلك في هذا الخبر سبيل الضرب الإنكاري المؤكّد بأكثر من توكيد؛ مراعيّاً بذلك حال المخاطب المنكر.

وهذه أضرب الخبر الثلاثة، وقد يخرج الكلام عن ظاهره، فيكون مخالفاً لمقتضى الظاهر، لدواعٍ أخرى ولإسرار بلاغية متعددة، فينزل العالم بفائدة الخبر أو لازمه منزلة غير العالم، أو يُنزل خال الذهن منزلة السائل المتردّد حسبما يقتضيه الحال، أو يُنزل المنكر منزلة خالي الذهن لعدم الاعتداد بإنكاره².

¹-ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 323/15.

²-ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 68/1.

المطلب الرابع: مراعاة حال المتكلم

لما كان تقسيم أضرب الخبر إلى الأقسام الثلاثة المذكورة، وهي الابتدائي، والطلبي، والإنكاري، يراعى فيها حال المخاطب من خلو الذهن والتردد والإنكار وعدمه، فيؤكّد له بحسب الحال، لذلك فإنّ مراعاة حال المتكلم عند إلقاءه الخبر معتبر أيضاً، ولم يغفل البلاغيون ذلك، لكنّ غالب التحليل للنصوص كان يُراعى فيها مقتضى حال المخاطب، لذلك فإنّ بيان حال المتكلم عند إلقاء الخبر ممّا يجب مراعاته والنظر فيه، فقد يكون الداعي إلى توكيد الخبر هو حال المتكلم نفسه بحسب انفعاله وحالته النفسية، كيف لا وهو من يصوغ الكلام، ويعبّر عن مشاعره وتأثره من خلال ما يؤكّد عليه في الكلام¹؛ لذلك ترى أنّ حسان في رثائه لنبيّه وصاحبه صلوات ربي وسلامه عليه لم يكن يعنى بالرد على منكر أو متردد؛ ولكنّه أراد الإفصاح عن حجم آلامه، وحزنه على فقدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلال صياغته للمعاني التي امتلأت نفسه بها حيث أورد الخبر مؤكّداً في القصيدة التي رثى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من قوله:

ولقد ولدناه وفيها قبره... وفُضُولِ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ نُجْحِدْ²

وكان في حوار الإخوة والأصحاب ذلك الأثر في صياغة الأخبار وتوكيدها جلياً واضحاً، ورد في مناسبات متعددة روعي فيها حال المتكلم فجاءت بعض الجمل مؤكّدة؛ لكي تعبر عن حال المتكلم وليبيان ثمة أسباب وراء التأكيد.

¹-ينظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1996م)، 94.

²- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ- 1955م)، 270/2، وأحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1423هـ)، 403/18.

1- شدة الندم والتحسر

قد يكون الداعي إلى التأكيد بيان شدة الندم والتحسر، ومن ذلك قول الإخوة أصحاب البستان لما شاهدوا حالهم وما أحاط ببستاتهم من الخراب والدمار، وضياع ما كانوا يؤملونه من جني الثمار وحصادها، وذلك فيما صورّه لنا المولى في مشهد يملؤه الندم والتحسر حين قالوا: ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (القلم:29)، أكدوا قباحة فعلهم لبيان ما جرّوا على أنفسهم من ظلم تسبّب بسلب النعمة منهم، وبيان ظلمهم للمساكين الذين أرادوا منعهم العطاء¹؛ لذلك جاء الخبر مؤكداً يدل على عظيم ندمهم وشدة تحسّرهم مناسباً لما جال في خواطرهم من مشاعر؛ وإن كان الحوار دائر بينهم وليس ثمة منكر أو متردد

2 - شدة الإنكار

ومن دواعي التوكيد في قوله تعالى على لسان صويحبات امرأة العزيز : ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف:30) شدة الإنكار فالخبر ألقى بينهن وليس هنالك مقصود يراعى حاله عند إلقاء الخبر؛ وإمّا كان هذا التأكيد مراعاةً فيه حال صاحب الخبر فتأكيد الجملة ب(إنّ) واللام لتحقيق مسائل؛ منها اعتقادهنّ وضوح خطأ امرأة العزيز، وإبعاد أن يتصور متصور أنّهنّ يحسدنّها على ذلك الفتى، مع بيان أنّهنّ يتنزهن عن فعل مثل هذا الأمر ثمّ تأكيد الخبر بقولهنّ (لنراها) وذلك لبيان أنّ هذا الحكم صادر منهنّ عليها عن علم من دون مجازفة².

¹ - ينظر: الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، 86/29.

² - ينظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 271/4، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 261/12.

3- اعتقاد بيان وضوح الخطأ

وقد يكون الداعي إلى التأكيد اعتقاد بيان وضوح الخطأ، فمن ذلك تأكيد الجملة الخبرية في الحوار الذي دار بين إخوة نبي الله يوسف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف:8) أي في اختلاف واضح وخطأ بين في محبته ليوسف وأخيه؛ إذ كان الأولى أن ينصرف لنا بدليل قولهم: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ فهم يرون أنهم أحق بهذا التفضيل لأنهم جماعة قادرين على الحل والعقد، و"تضر وتنفع، وتحمي وتخذل"¹؛ لذلك أكدوا الجملة الخبرية بأكثر من مؤكّد مراعاةً لحالهم وشعورهم تجاه ما يرونه من انصراف حب أحببهم ليوسف وأخيه.

4- حاجة المتكلم

وقد يكون الداعي إلى التأكيد حاجة المتكلم لطلب المغفرة وبيان الاعتراف بخطئه؛ لذلك جاءت الجملة الخبرية على لسان أخوة يوسف في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (يوسف:91) بالقسم واللام وقد وغيرها من المؤكّدات في الآية، وإن كان المخاطب نبي الله يوسف على علم بحاله، وقد أُخرج الخبر هنا مخرج لازم الفائدة، وذلك لبيان خطئهم وشدة اعتذارهم، حتى يكون الخبر أوقع في نفس أخيهم وأقبل له منهم في عدم مؤاخذتهم، مع ما فيه من إشعار بالتوبة والاستغفار.²

¹ - عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، 221/3.

² - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 304/4، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 50/13.

4- الإصرار على الفعل وتحقيق الوعيد

وقد يكون الدّاعي إلى التّأكيد الإصرار على الفعل وتحقيق الوعيد كما ورد في حوار ابني آدم حين قال القاتل لأخيه: ﴿ قال لأفتُتَلِّتُكَ ﴾ (المائدة: 27) أورد الخبر باللام والتّون المشدّدة؛ وذلك للتّأكيد على إصراره على هذا الفعل، مع العلم أنّ المخاطب خالي الدّهن ممكن أن يُلقى إليه الخبر من دون هذا التّأكيد؛ ولكن شعور الحسد في تلك النّفس كان يغلي، وقد ذُكر أنّ هايبيل قال له " ولم تقتلني ؟ قال: لأنّ الله تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني، وتنكح أختي الحسناء، وأنكح أختك الدّميمة، فيتحدث الناس أنّك خير مني، ويفتخر ولدك على ولدي"¹؛ لذلك كان السبب في إلقائه الخبر بهذا التّأكيد هو مراعاة حال المتكلّم وبيان ما في نفسه، مع شدّة الإصرار على تحقيق الفعل الشنيع.

5- بيان شدّة حال المتكلّم

ومن أسبابه أيضاً بيان شدّة حال المتكلّم وما أصابه من التعب؛ لذلك أورد نبي الله موسى الخبر ليوشع مؤكّداً بقوله: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ (الكهف: 62) مع كونه يشاركه الرحلة و يعلم ما جرى؛ ولكن لبيان ما قد مسّه من الجوع والتعب والنصب، فألقى إليه الخبر بهذه المؤكّدات، وإن كان المخاطب مصدّق غير منكر، ومن لطائف الإشارات في هذه الآية الكريمة، قيل وجد هذا النصب والتعب لأنّه سفر إلى مخلوق، ولكن لما واعدته ربّه ثلاثين ليلة وأتمها بعشر، لم يأكل فيها ولم يجد مسّ الجوع والتعب؛

¹ - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 39/2.

لأنه كان السفر إلى ربه تعالى، وهكذا سفر القلب إلى ربه لا يجد فيه من الشقاء والتعب ما يجده في سفره إلى بعض المخلوقين¹.

6- غرابة الخبر

وقد يكون من أسباب التأكيد غرابة الخبر في ذاته، أو بيان التعجب والاستعظام لما حدث فيلجأ المتكلم إلى التأكيد للتعبير عن ذلك، فقد ورد في قوله تعالى على لسان يوشع في صحبته لنبى الله موسى في رحلة البحث عن الخضر عندما طلب منه الطعام قال: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ (الكهف: 63) ألقى إليه الخبر مؤكداً، لغرابة ما حدث فإن الحوت كان مشوياً، فأحبي ثم دخل البحر، والعجب من ذلك وقوع النسيان في ذلك الموقف مع ما شاهده من أمر عظيم لا يكاد يُنسى²؛ لذلك أكد الخبر، وإن كان المخاطب غير متردد ولا منكر، وإنما لبيان غرابة ما حدث واستعظامه.

وفي ختام هذا المبحث يرى الباحث أنّ الأساليب البلاغية وقواعدها قد وُظفت في بيان معاني حوار الإخوة والأصحاب وكشفت عن تلك الأسرار الكامنة في طيات الحوار؛ وذلك من خلال تلك القواعد البلاغية وجمالها في تأدية المعنى على وجهه، ففائدة الخبر جاءت في آيات الحوار لتدل على مضمون تحاورهم وتخبر عن سر تحادثهم، وكذلك في قاعدة لازم الخبر ودلالته البلاغية التي كشفت لنا عن معاني مغيرة جرت في حوارهم، وأما توظيف القواعد البلاغية في باب خروج الأخبار عن ظاهرها فقد أسفرت عن معاني في تلك الحوارات غير تلك التي يتصورها القارئ لأول وهلة والناظر من أول نظرة، بل لها دلالات مغيرة يرشد إليها السياق ويدل عليها الحال الذي قيلت فيه، وقد كان غالب الأخبار في

¹ - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م)، 406/2، و ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 3/ 529.

² - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 5/ 233.

آيات الحوار جاءت على خلاف مقتضى الظاهر مؤدية إلى معان بلاغية أخرى كما تبين ذلك من خلال التحليل والدراسة، حتى يتيقن من يبحث في تلك الأساليب أنّ هذه القواعد والأساليب تأتي موافقة لمقتضى الحال كما جاء في بيان قاعدة موافقة مقتضى حال المتكلم عند إلقاء الخبر وما يحمله من تأكيد، وكل هذا تعكسه تلك القواعد في بيان بلاغة هذه الحوارات التي جرت بين الإخوة والأصحاب.

المبحث الثاني: الأساليب الإنشائية

مرّ تعريف الخطيب القزويني عند ذكر الأساليب الخبرية وهو تعريف شامل للأسلوب الخبري والإنشائي¹، أمّا الأسلوب الإنشائي "هو ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً"² فإنّه تصاغ فيه الجمل ابتداءً؛ وذلك ليتوصل بها إلى مطلوب معيّن، أمّا نسبتها الخارجية فهي ما يقوم في نفس المتكلم من الأمر والنهي والاستفهام، وميزة هذه الأساليب لِحثّ الدّهن وإثارته وتنشيط عقل المخاطب وتحريكه، لذلك لا بد من الوقوف في البحث على آيات حوار الإخوة والأصحاب، لمعرفة المعاني التي أنشئت من خلال هذه الأساليب ابتداءً وللاطلاع على دقائق وأسرار هذه الحوارات وما تحمله من دلالات لاسيّما وأنّ هذه الأساليب ليست كالخبر في نسبة مطابقتها للواقع، وإتّما البحث في إيرادها والمقاصد التي ترمي إليها، لتذوّق روعة البيان القرآني في تلك الحوارات وإخراج المعالم التي انطوت عليها.

¹- ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 55، 56/1.

²- يحيى بن حمزة المؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٣هـ)، 35/1.

ويقسم الأسلوب الإنشائي إلى قسمين:

1- الإنشاء الطلبي : وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب¹، ويحتوي على الأمر والنهي والاستفهام والنداء.

وهذه الأساليب حينما ترد في الكلام تدل على أنّ ما يذكر لم يكن حاصلًا إلا بعد استعمالها.

2- الإنشاء غير الطلبي : فهو مالا يستدعي مطلوباً²، وله صيغ كثيرة منها القسم والمدح والذم والتعجب والترجي، وقد أعرض البلاغيون عن التفصيل في أساليب الإنشاء الغير طلبي وذلك لأسباب منها أن معظم هذه الأساليب هي أخبار صُيّرت إلى معاني الإنشاء³.

الإنشاء الطلبي

المطلب الأول: أسلوب الأمر

الأمر وهو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء⁴، حيث يكون من الأعلى إلى الأدنى، وله صيغ⁵:

فعل الأمر نحو: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ الفعل المضارع المقرون بلام الأمر نحو: ﴿وَلِيَتَلَطَّفْ﴾، اسم فعل الأمر نحو(عليكم القرآن) أي الزموه، المصدر النائب عن فعل الأمر:(رفقا بالأصحاب).

¹ - ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 419/1.

² المصدر السابق، 419/1.

³ - ينظر: أحمد مطلوب أحمد الناصري، أساليب بلاغية، (الكويت: وكالة المطبوعات، 1980م)، 110.

⁴ - ينظر: يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 155/3.

⁵ - ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 462/1.

والأصل في فعل الأمر أن يكون صدوره من الأعلى إلى من هو أدنى، فيطلب منه تحقيق الأمر والامتثال إليه، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن عند ذكر الأمر كما ذكره الخطيب¹.

أولاً: ورود الأمر على حقيقته

وقد ورد في آيات الحوار في مواطن عديدة منها ما ذكر المولى على لسان يوسف في حوارهِ مع إخوته: ﴿قال انثوني بأخٍ لكم من أبيكم﴾ [يوسف:59] فقد ورد الأمر على وجه الإلزام؛ وذلك لكونه أعلى مرتبة منهم، ومما يدل على أنه على وجه الإلزام ما صدر من تحذيره إياهم إن لم يفعلوا ذلك بالأقربوا بلاده وألا يطلبوا منه الكيل، والسّر في إلقاء الأمر على هذا الوجه هو إصراره على مجيء أخيه وإلزامهم بإحضاره، ويبدو أنّ حديثاً جرى بينهم قبله ومقدّمات، ثمّ بعد ذلك أعلموه بأنّ عددهم هو أحد عشر رجلاً، فجعل نبي الله يوسف مجيئه علامة على صدقهم² وقد جاءت هذه الآية وفق مقتضى الظاهر.

ومن جملة الأوامر ما ورد أيضاً في حوار نبي الله يوسف مع إخوته في قوله تعالى: ﴿اذهّبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ [يوسف: 93] وذلك بعد أنّ عرفهم به وبين حاله وحال أخيه لهم، حيث ألقى إليهم هذا الأمر بصيغة فعل الأمر لأجل ذهابهم وإلقاء القميص؛ وذلك لإرادة الأمر وتعجيل البشرى لأبيه، فالأمر هنا ظاهر وهو المراد، وقيل إنّه سأل إخوته عن أبيه فقالوا له: هو الآن لا يبصر فأعطاهم القميص، وأمرهم بإلقائه تعجيلاً بالبشرى لأبيه، ولعلّ الحكمة من

¹- ينظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 18/3 .

²- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، 484/2.

إلقاء القميص بهذه الصورة هو ما توجهه المفاجأة بالنفس ويعود ذلك على قوّة في البصر، وقد كان ذلك بوحى¹.

وقد ورد في حوار امرأة العزيز في معرض حديثها مع صويحباتها حيث أمرت يوسف بالخروج: ﴿وقالت اخرج عليهن﴾ [يوسف:31] وهو البروز لهنّ وهو أمر مستعمل على حقيقته كونها في ذلك الوقت أعلى منه رتبة فهو خادم عندها²، وفيه سرعة امتثاله لأمرها، وقد ضمن فعل الخروج معنى أدخل لذلك عدي بحرف (على) ويحتمل أنّه كان في مكان آخر ثم استدعته للخروج³.

ثانياً: خروج الأمر إلى معان بلاغية أخرى

وقد تخرج صيغ الأمر و تستعمل في غير معناها الأصلي والذي مقتضاه الطلب على جهة الاستعلاء، فتفيد معاني أخرى⁴ كالّدعاء أو الحث والإثارة أو الإرشاد أو التّهي أو الاستمرار والدوام وغيرها من المعاني، وقد كان للبلاغيين الاهتمام الكبير بالمعاني التي تفيدها هذه الصيغ وبيان دقائق هذه المعاني ومزاياها، والوقوف على الأسرار البلاغية التي جعلت هذه المعاني تخرج مخرج الأمر، لذلك لا بد من الاطلاع على معاني هذه الآيات التي خرج فيها الأمر عن دلالاته الأصلية.

1- الدّعاء والتّضرع

وقد ورد ذلك في آيات أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10] فالأمر ﴿آتِنَا﴾ يراد منه الدّعاء والتّضرع إلى الله والتّوجه إليه؛ لأنّ الله لا يمكن أن

¹ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 500/18.

² - ينظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م)، 32/3.

³ - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 272/4، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 262/12.

⁴ - ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 463/1.

يأمره أحد، والسر البلاغي في التعبير بهذا الأسلوب عند الدعاء هو بيان شدة حاجتهم ورغبتهم بأن يتحقق لهم ما يريدون، مع إظهار الخضوع الكامل لله تبارك وتعالى، والآية فيها جمل عظيمة وصور راقية من صور العبودية و الالتجاء إلى الله من ذلك ما دلت عليه الفاء¹ في قوله (فقالوا) على سرعة مبادرتهم بالدعاء والتضرع بمجرد دخولهم الكهف، وقد سألوا الله رحمةً ورشداً تناسب ما هم فيه من خوف وفراق للأهل والأوطان من أجل سلامة دينهم وعقيدتهم، والآية صريحة في بيان الهجرة وترك الأهل والأوطان من أجل سلامة الدين وهي سنة الأنبياء².

2- التنبيه والتذكير

وذلك في وصية نبي الله موسى لأخيه هارون بعد أن استخلفه عليهم عند خروجه لميعاد ربه حيث قال له: ﴿وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ [الأعراف: 142] فالأمر هنا للتنبيه والتذكير كون المخاطب نبي كريم على الله³ والسر البلاغي في ورود التنبيه والتذكير بأسلوب الأمر هو شدة حرص نبي الله موسى على صلاح قومه وإرادة الخير لهم؛ وذلك لأن نبي الله هارون يعلم قضية الإصلاح بالضرورة كونه نبياً.

3- النصح والمشورة

ما ورد في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه زيد في قضية طلاق زوجته زينب، فقد ذكر الله تعالى ما جرى في قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ﴾ [الأحزاب: 37] فقد أشار عليه بإبقاء زوجته زينب بنت جحش، وأمره بعدها بالتقوى والتي من لوازمها الصبر على ما يجري من الأقدار والأمور التي تجري بين الزوجين، فالأمر هنا ليس على حقيقته وليس هو من باب التشريع والإلزام؛ وإنما من باب

¹ - ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 476/8.

² - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 360/10.

³ - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 421/3.

النصح والمشورة¹ بين الأصحاب؛ ولكون النبي صل الله عليه وسلم هو من زوج زينب لزيد، والكلام يوحى بأن زيد سبق وأن استشار النبي في هذه المسألة لذلك "قام النبي بعمل الصاحب الناصح"² ويكمن السر البلاغي في خروج هذا النصح مخرج الأمر هو الحث على إبقاء زينب زوجة لزيد لعل صلاحها يكون به.

4- الالتماس والطلب

وهو عندما يكون الخطاب بين متساويين في الرتبة والمنزلة، و الطلب يأتي هنا على سبيل التلطف وقد كثر هذا المعنى في آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب، حيث ورد في جملة من الأوامر ومن ذلك ما ورد في حوار نبي الله يوسف مع أصحاب السجن وذلك بعد أن قصّوا عليه رؤياهم، والتمسوا منه تأويلها بقولهم: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [يوسف:36] بعد أن شاهدا إحسانه وتعامله مع الناس فتأثرا به "وأحياه حباً شديداً"³، ثم طلبا منه تأويل الرؤيا والأمر هنا من مساوٍ فهو يفيد الالتماس والطلب، وليس على أصله، ويجري بعد ذلك الحوار من دعوتهم للتوحيد، وغيرها من المسائل التي ذكرها الله في الآيات ثم عبّر لهم الرؤى بعد ذلك، وينتقل سياق الأمر ليصدر من نبي الله يوسف إلى الذي نجى منهما ملتمساً وطالباً منه أن يذكر قضيته عند الملك: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:42] وهو صادر من مساوٍ، فالأمر أريد به الالتماس والطلب، ولعل السر البلاغي في خروج هذا الطلب على وجه الأمر هو حاجة نبي الله يوسف لذلك الأمر؛ كون السجن في ذلك الوقت لم يكن لها دواوين يقيد فيها أحوال من فيها ووقت دخولهم أو

¹- ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 665.

²- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 23/22.

³- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 332/4.

خروجهم حتى ينظر بشأنهم¹؛ لذلك طلب من صاحبه أن يذكر مظلمته للملك، ولم يكن ما أَرَادَهُ نبي الله يوسف؛ وذلك بسبب نسيان صاحبه أن يذكر ذلك للملك، وقيل كان عليه في هذا الأمر شيء من العتب وذلك لأنّ اللائق بمنصب الأنبياء هو طلب الأمور من الله²، ومّا ورد بعد تذكّر صاحب السجن ساقى الملك يوسف بعد أن عجز الملاء عن تأويل رؤيا الملك، حيث أقبل على يوسف طالباً للتأويل واصفاً إيّاه بالصدّيق حيث قال: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾ [يوسف:46] وقد جعل الله تبارك وتعالى هذه الرؤيا سبباً لنجاة نبيه يوسف، والأمر كذلك هنا على وجه الالتماس والطلب، ومن عظيم خلق هذ النبي عبّر له من غير "تعنيف للفتى على نسيانه ما أوصاه به ومن غير اشتراط"³، وبعد أن أوّل لهم الرؤيا وبين لهم حقيقتها وما سيكون في تلك السنين من توجيهه لهم بالزرع في السنين السبع الأولى ثم وجههم على سبيل الإرشاد قائلاً: ﴿فَذُرُوهُ فِي سَبَلِهِ﴾ والأمر هنا على سبيل الإرشاد ومّا يقتضيه التأويل، وبعد أن سمع الملك تأويل الرؤيا وأعجب بها طلب لقياً يوسف، ولكنه أبي ذلك موجهاً إلى أمر يطلب حصوله قبل أن يخرج من السجن فقال: ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَأْسَ النَّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [أيوسف:50] وهذا أيضاً ممّا ورد في الحوار بين يوسف وصاحب السجن على وجه الطلب والالتماس؛ وذلك لأنه أراد عدم الخروج من السجن حتى تتم تبرأته من تلك التهمة، حتى لا تبقى عليه شائبة ممكن أن تثار عليه في يوم من الأيام بعد خروجه من السجن⁴، وهذا يدل على عظيم

¹-ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 279/12.

²-ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 461/18، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 196/9، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 165/3.

³-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 336/4.

⁴-ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 287/6.

شخصية هذا النبي الكريم، فالمقام يقتضي المسارعة في الخروج من هذا الكرب العظيم، وقد جعل تبرئته تتم عن طريق سؤال النسوة حتى يتحقق له ما يريد .

5- النهي

ومما خرج إليه الأمر إلى دلالة النهي ما ورد في حوار نبي الله عيسى مع أصحابه من الحواريين حين طلبوا منه إنزال المائدة فكان رده عليهم بقوله: ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:112] حيث أمرهم أن يلازموا التقوى، وألا يتزلزل الإيمان في قلوبهم، وفيه تضمين النهي عن سؤالهم إنزال المائدة، وكأنه نهاهم عن ذلك لما فيه من الشك في قدرته تعالى أو سؤال شيء لم يسأله الأمم من قبلهم وقيل " نهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان"¹.

6- الإرشاد والتوجيه

وذلك في حوار أصحاب الكهف حيث ورد جملة من الأوامر في هذه المحاورة ومن ذلك قولهم: ﴿ فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ [الكهف:19] فالأمر هنا صدر من صحبة متساوين لذلك هو على وجه الالتماس، وحاصله بعد استيقاظهم وتساءلهم عن مدة اللبث...أرشدهم إلى ما هم أحوج إليه وهو الطعام لذلك صدر بصيغة الأمر، ومن اللطائف البديعة في هذا الأمر اقتترانه بفاء التصريح ، وهو إشارة إلى ما هو أولى من الخوض في السؤال عن مدة النوم²، وقد صاحب هذا الأمر أمر آخر بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر وهو قوله: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ وفيه من التوجيه والإرشاد ما هو ظاهر من تلطفه في إحضار الطعام خشية أن يتعرف عليه أحد من

¹ - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 102/2.

² - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 214/5.

أهل المدينة، "ويعبّر باللطافة واللطف عن الحركة الخفيفة، وعن تعاطي الأمور الدقيقة"¹، والسر البلاغي في خروج هذا الإرشاد مخرج الأمر شدة حاجتهم لعدم انكشاف أمرهم حتى لا يقعوا في قبضة الحاكم الجائر، وجملة الأوامر في هذه الآية تبرز معالم الصحبة الصالحة المتألّفة المجتمعة على عبودية الله، والمحافظة على دينها وتأزرها وعلى ضرورة حفظ النفس والجماعة؛ دل على ذلك ضمير الخطاب في الأربعة مواضع² (عليكُمْ، يَجْمُؤُكُمْ، يُعِيدُكُمْ، وَلَنْ تُفْلِحُوا) وذلك من أجل أن يتمسك بقية الصحبة بالوصية والاهتمام بها لأن الأمر فيه حفظ لهم جميعاً.

وورد هذا الأمر في حوار إخوة نبي الله يوسف وهم يصفون حب أبيهم ليوسف وأخيه، حيث أخذوا بعد ذلك يدبرون الحيل للتفريق بين يوسف وأبيهم، فقد جاء في حوارهم: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: 9] فالأمر هنا صدر من متساوين في الرتبة، فأريد من ذلك التوجيه والأمر مستعمل في الإرشاد، وكأنهم كانوا يبحثون عن أي سبب أو حيلة أو مكيدة يفرقون فيها بين يوسف وأبيه؛ لذلك جاء التوجيه بالقتل أو الإلقاء في أرض بعيدة، ولعل السر البلاغي في إخراج هذا التوجيه مخرج الأمر هو شدة حرصهم على إيقاع المكيدة وتنفيذها، ولكن العناية الربانية تتدخل في هذه الأثناء، فينطق أخوهم ناهياً عن هذا الأمر، وموجهاً ومرشداً لأمر آخر هو: ﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: 10] وكان أهوهم شراً وأخفهم ضرراً حيث وجههم لإلقائه في البئر حيث يلتقطه المارة من المسافرين، ومما يدل على الإرشاد والتوجيه قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾ [يوسف: 10] وفيه إشارة إلى ترك الفعل، وكأنه قال لا تفعلوا، وإن كنتم عازمين فافعلوا هذا الأمر إن كنتم فاعلين، وهذه المكائد بمجملها فيها صورة من صور الإخوة التي استحوذ عليها الحسد وأوقعها في مخاطر عظيمة، وأوردها في مهالك جسيمة.

¹ - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 740.

² - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 214/5.

ومَّا ورد في حوار الإخوة أصحاب الجنة في قولهم: ﴿أَنِ اعْدُوا عَلٰى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم:22] فالأمر صريح هنا بالحث على منع المساكين من أن يأخذوا شيئاً من البستان؛ لذلك كان أمرهم بالغدو وهو أول النهار من أجل تذكير و تشجيع بعضهم لبعض حتى يسرعوا في المشي¹، من أجل حصد الثمار والسر البلاغي في خروج هذا الحث مخرج الأمر؛ هو شدة إصرارهم على المنع بدليل القسم في الآية التي قبلها، وما يحمله السياق بما في ذلك من تناديهم في الصباح على المضي في الأمر الذي عزموا عليه، ولا يخفى ما في هذا الأمر من صور الإخوة التي أهلكتها البخل والطمع من أن يؤدوا حق الله فيما رزقهم إياه مما كان يؤديه أبوهما سابقاً من نفقات وأعطيات للفقراء والمساكين.

المطلب الثاني: أسلوب النهي

النهي و" هو طلب الكف عن الفعل استعلاء"²، حيث يأتي النهي من جهة أعلى ناهية إلى جهة أدنى منهية.

وصيغة أسلوب النهي واحدة وهي الفعل المضارع المقرون بلا الناهية³، نحو: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾.

أولاً: ورود النهي على حقيقته

ومن ذلك ما ورد في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه الصديق في رحلة الهجرة، وذلك بعد أن لجؤوا إلى غار ثور، وقد شعر الصديق بالخوف خشية أن يصاب رسول الله بالأذى، وحزن لذلك حزناً

¹ - ينظر: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)،

147/10، ومحمد الأمين المرري، تفسير حدائق الروح والريحان في روي القرآن، 95/30.

² - إبراهيم بن محمد بن عريشاه الخنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 600/1.

³ - ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 470/1.

شديداً فما كان من رسول الله إلا أن نهاه عن هذا الحزن كما ذكر المولى بقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40] والأمر هنا على حقيقته؛ وذلك لأنَّ الحزن وقع من أبي بكر، والنهي صدر ممن رتبته أعلى، وهو رسول الله فتحقق كون النهي هنا على حقيقته خلافاً لمن يرى أنَّ النهي هنا لم يكن على حقيقته، وإتاما للتسلية¹، ولا ينافي أن تكون الجملة الخبرية الواقعة بعد النهي ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ هي للتسلية وذلك لكون معية الله لنبية معلومة عند أبي بكر، ولكن مفادها هنا مزيد تصبير وبيان للفضل العظيم الذي تلحقه هذه المعية، لذلك "بدأ بالنهي عن الحزن لأنه المقصود بالذات وما بعده علة"²، وتعد هذه الآية من أعظم مناقب الصديق؛ إذ أجمع أهل التفسير و السير على أنَّ المراد بصاحبه هنا هو أبي بكر الصديق، وعلى أنَّ الحزن الواقع من أبي بكر ليس على نفسه وإتاما على رسول الله خشية أن يصيبه أذى³، ومن ذلك ما ورد في حوار نبي الله موسى مع الخضر، حين طلب منه صحبته لأجل أن يتعلم العلم، حيث أشرت عليه الخضر عدم السؤال إلا بعد أن ينتدئه هو بالبيان: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:70] فنهاه عن السؤال قبل البيان، والنهي هنا على حقيقته كون الخضر هنا أعلى رتبة فهو المعلم ونبي الله موسى متعلم لذلك قال له: ﴿فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي﴾ فكونه متبوع ممكن أن يؤمر ويُنهي، والغرض من النهي في هذا الباب " مِنْ الْخَضِرِ تَأْدِيبٌ وَإِرْشَادٌ لِمَا يَفْتَضِي دَوَامَ الصُّحْبَةِ"⁴.

¹- ينظر: شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، 292/5.

²- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 475/8.

³- ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 258/14، وأبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 374/5، والنعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 47/5، والبعوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 349/2، والرازي، مفاتيح الغيب، 50/16.

⁴- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 18/11.

ثانياً: خروج النهي إلى معان بلاغية أخرى

1- الترهيب والتخويف والتهديد

فمن ذلك ما ورد في حوار نبي الله يوسف مع إخوته حين طلب منهم إحضار أخيهم بنيامين فقال: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴾ [يوسف: 60] فإنه لم يرد حقيقة الأمر من نهيهم عن القدوم إلى مصر؛ وإنما أراد ترهيبهم وتخويفهم¹ لكي يقوموا بإحضار أخيهم بنيامين، وحثهم على عدم التخلف لعلهم أتهم يحتاجون الرجوع إليه؛ ولعل السر البلاغي في استعمال أسلوب النهي هو إلزامهم بإحضاره.

2- النصح والإرشاد

ومن ذلك ما أشار به أحد أخوة نبي الله يوسف حين اجتمعوا على قتله وإبعاده عن أبيهم، وذلك في أثناء الحوار الجاري بينهم حيث قال: ﴿ قَالَ فَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ [يوسف: 10] والأمر هنا صدر من مساوي في الرتبة حيث أشار إليهم بالنهي مستعملاً اسم يوسف الصريح بدلاً عن الإضمار وذلك لغرض تهميج إشفاقهم عليه²، وتنبههم إلى أنّ مقصدهم الأكبر هو إبعاده عن أبيه حتى يقبل عليهم من دون يوسف، وذلك من خلال قولهم: ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ [يوسف: 9]؛ لذلك أشار عليهم بما هو أخف ضرراً من القتل، وهو إلقائه في الجب حتى يتحقق لهم مقصدهم من دون احتياجهم للقتل؛ ولعل السر البلاغي وراء استعمال أسلوب النهي في هذا المقام، هو الرغبة إلى أن يستجيبوا لما وجههم إليه ويمتثلوه.

3- الإيناس

¹-ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 478/18.

²-ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 256/4.

فمن ذلك ما ورد في حوار نبي الله يوسف مع أخيه بنيامين وذلك بعد أن أحضره إخوته وعزفه بنفسه، ووجه إليه القول بعدم الحزن على ما سبق من أذى إخوته له وذلك في قوله: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف:69] لا تَبْتَئِسْ أَي "لا تحزن"¹ والأمر هنا للإيناس؛ وذلك لأنّ الحزن من أذى إخوته ليس واقع منه في الحال؛ وإيّا ما يخطر له عند تذكر تلك الأيام فقد دعاه "لأن يترك من خاطره ذكرى ما فعله إخوته به من قبل"²، بخلاف الحزن الذي وقع من أبي بكر خشية إلحاق الأذى برسول الله الذي وقع في الحال ممّا له أثر شديد على من وقع به، فهناك الأمر يكون على حقيقته، والغرض البلاغي وراء صدور النهي حتى يقطع أثر الذكرى، وقيل إنّ بنيامين خاف من إخوته أن يحسدوه وذلك لأنّ الملك يوسف قرّبه وخصّه بالاهتمام، فيؤذوه كما آذوا يوسف لأنّ أباه قرّبه منه وخصه بمزيد الإقبال عليه، وقيل أرد من ذلك أنّ يصفي قلب بنيامين على إخوته كما صفي قلب يوسف عليهم³.

4- الطلب والالتماس

وقد ورد في حوار نبي الله هارون مع أخيه نبي الله موسى وذلك بعد أن عاتبه على تركه لبني اسرائيل يعبدون العجل، من دون أن يتخذ موقفاً، فغضب عليه ومن شدّة غضب نبي الله موسى أخذ يجر هارون من شعره ولحيته، فما كان منه إلا أن يطلب ملتمساً بقوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:150] مستعملاً أسلوب النهي، وحقيقته الطلب كونه صدر من مساوٍ، فهو هنا يطلب منه والسر البلاغي في التعبير بصيغة النهي عند الطلب والالتماس هو إظهار رغبة وحرص نبي

¹-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 229/9.

²- سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، 2003م)، 2018.

³-ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 485/18.

الله هارون في عدم مؤاخذته في هذا الأمر؛ وذلك لأنه قدّم العذر من كونه بيّن لهم ذلك، وخشي من تفرقتهم؛ لذلك رغب في أن يسامحه وأن لا يجعله في صف الظالمين .

5- التحذير

ومّا خرج إليه النهي التحذير وقد ورد ذلك في حوار نبي الله موسى مع هارون في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:142] وذلك بعد أن استخلفه على بني إسرائيل، والنهي هنا ليس على أصله؛ وذلك لكون عدم اتباع سبيل المفسدين معلوم عند نبي الله هارون ولكن المراد من هذه الوصية "تَحذِيرٌ مِنَ الْفَسَادِ بِأَبْلَغِ صِيغَةٍ"¹ فخرج إلى التحذير، وكذلك ما ورد في حوار أصحاب الكهف حين أرسلوا أحدهم لطلب الطعام وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:19] فالأمر هنا صدر من مساوٍ في الرتبة، فهو على وجه التحذير، خشية أن ينكشف أمرهم ويتعرضوا للبلاء الشديد، وفي الآيتين معالم عظيمة من معالم الإخوة والصحة في الحرص على إقامة الدين وحفظ النفس.

6- الاستعطاف

وذلك في طلب عدم المؤاخذة، ورد ذلك في حوار نبي الله موسى مع الخضر بعد سؤال موسى عن حادثة خرق السفينة، وكان قد اشترط عليه الخضر عدم المبادرة بالسؤال، فلما نسي ووقع منه السؤال، قال له معتذرا عن ذلك: ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [الكهف:73] فالأمر هنا ليس على حقيقته لأنه صدر من متبوع لتابع؛ ولكن الغرض منه هو الاستعطاف، وطلب عدم المؤاخذة²، وذلك لما طرأ عليه من النسيان، والسر البلاغي في ورود هذا الاستعطاف بصيغة النهي للمبالغة في

¹-الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 88/9.

²-ينظر: الطاهر بن عاشور، 376/15.

الاعتذار عن فعله وتيسير صحبته بعدم تتبع الخطأ والزلل، وقد أصّل هذا الحوار مسائل عظيمة في أصول الصحبة بالتغاضي عن بعض الأخطاء والمسامحة على ما يقع حتى يتم الخير الذي بُنيت الصحبة من أجله.

المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام

الاستفهام: " وهو كلام يدل على طلب فهم ما اتصل به أداة الطلب"،¹ وهذه الأدوات هي: " الهمزة وهل ومن وما وكيف وأين وأيان ومتى وأنى وأي"².

أولاً: ورود الاستفهام على حقيقته

وقد ورد الاستفهام على صورته الحقيقية، وهي طلب الفهم في حوار أصحاب الكهف، وذلك بعد أن استيقظوا من نومهم الطويل حيث أخذوا يتساءلون عن مدة لبثهم في الكهف، وقد ذكر الله ذلك على لسانهم في قوله: ﴿ قال قائل مَنَّهُم كم لبثتم ﴾ [الكهف:19] استعلاماً عن مدة نومهم فلا استفهام هنا على حقيقته؛ وهو طلب الفهم عن معرفة المدة التي قضوها في نومهم، لذلك جاء الجواب بقولهم: ﴿ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ [الكهف: 19] وقد كان جوابهم ظناً منهم أنّ مدة بقائهم كانت يسيرة؛ وذلك بسبب مزامنة وقت نومهم مع وقت استيقاظهم، وقيل "إنّهم دخلوا الكهف غدوةً وبعثهم الله سبحانه آخر النَّهار"³.

¹ - إبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، 1/572.

² - بماء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 423/1.

³ - المرري، تفسير حدائق الروح والريحان في روائى علوم القرآن، 305/16.

ثانياً: خروج الاستفهام إلى معانٍ بلاغية أخرى

وقد يخرج الاستفهام إلى معانٍ بلاغية أخرى غير الاستفهام المحض، وهذه المعاني هي التي وجه إليها البلاغيون أنظارهم بالبحث والتفتيش عنها، وإخراج ما فيها من دقائق وأسرار كالإنكار والتقرير والتعجب والتنبيه وغيرها، والتي تستفاد من مستتبعات التراكيب¹ وحينما امتزجت بالاستفهام صار الاستفهام غير محض، ولكن يبقى إيقاظ المخاطب والحث على التأمل مصاحباً لهذه المعاني؛ التي صارت ممتزجة بالاستفهام مع ما تؤديه من معانٍ أخرى، ولقد كان جلُّ أسلوب الاستفهام في حوار الإخوة والأصحاب يؤدي إلى معانٍ بلاغية أخرى غير الاستفهام المحض، وقد احتوى على أسرار بلاغية أفادت تلك الحوارات.

1- التقرير

ورد ذلك في حوار نبي الله يوسف مع أصحاب السجن في قوله تعالى: ﴿أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39] وقد أراد من هذا الاستفهام تقريرهم بأنَّ عبودية الله الواحد المتفرد خير من عبودية الأرباب المتفرقون؛ وذلك عن طريق الاستفهام التقريري؛ ولعل السبب البلاغي في ورود هذا التقرير بصيغة الاستفهام؛ هو حث أذهانهم على تصور هذه المسألة العظيمة، و لتنبيههم على فساد العقيدة التي توجه إلى عبادة المتفرقين، ومن الاستفهام التقريري ما جاء على لسان الصاحب الذي كان مصيره الجنة؛ وذلك بعد انتهاء حديثه مع صاحبه الذي كان مستقره في النار، حيث توجه إلى أصحابه

¹-ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (بيروت: المكتبة العصرية، 1999م)، 83.

الذين هم في الجنة وهو يقول: ﴿أَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصفات: 58] فالاستفهام هنا للتقرير حيث أراد تقريرهم¹، وتذكيرهم بهذه النعمة العظيمة وهم يعيشونها حتى يزدادوا فرحاً وتنعماً بما هم فيه من النعيم.

2- التنبيه

ومَّا خرج إليه الاستفهام التنبيه وقد جاء في حوار نبي الله يوسف مع صاحب السجن عند تأويله لرؤيا الملك وذلك بعد أن طلبه الملك للقائه، فأبى نبي الله يوسف الخروج حتى تتم تبرئته وقد جعل ذلك يتم عبر سؤال النسوة حيث أمره بالرجوع إلى الملك وسؤاله: ﴿مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: 50] وإجابة السؤال معلومة عند نبي الله يوسف؛ ولكنّه أراد تنبيه الملك لتلك الحادثة حتى يعلم عظيم ما تعرض إليه من الظلم، والغرض البلاغي من ورود الاستفهام هنا؛ هو حث الملك على تتبع واستقصاء المسألة وذلك من خلال سؤال النسوة؛ حتى يصل فيها للخبر اليقين.

3- الترغيب

وذلك في حوار نبي الله يوسف مع إخوته بعد أن طلب منهم إحضار أخيه بنيامين؛ حيث قال لهم بعد أن أكرمهم وأحسن إنزالهم: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَيُّ أَوْفِي الْكَيْلِ﴾ [يوسف: 59] و لم يكن الاستفهام هنا على حقيقته إذ حقيقة المستفهم عنه معلوم عند نبي الله يوسف؛ ولكنّه أراد ترغيبهم، وحثهم على إحضار أخيه بنيامين، وسر استعمال الاستفهام هنا هو إثارتهم لما شاهدوه من كريم فعله بهم حتى يكون ذلك دافعاً لهم على جلب أخيهم معهم.

¹-ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 1/193.

3- التقرير والتذكير

وذلك في حوار إخوة نبي الله يوسف فيما بينهم بعد أن استيأسوا من أخذ بنيامين بسبب ما جرى في حادثة الصواع، فجلسوا يتشاورون فيما بينهم بماذا سيرجعون من القول لأبيهم؛ فكان ممّا ذكروه قولهم: ﴿ألم تعلموا أنّ أبائكم قد أخذ عليكم موثقا من الله﴾ [يوسف: 80] ومقصود الاستفهام في هذا الحوار هو تقريرهم¹ بالعهد الذي جرى مع بيهم وتذكيرهم به، وكان السر البلاغي في استعمال الاستفهام في هذا الموضوع؛ هو أن يعملوا فكرهم وجهدهم من أجل أن يجدوا شيئا يعتذرون به لأبيهم، أو أنه أرد تذكيرهم بما فعلوه مع يوسف فساق لهم هذا الاستفهام ومعه تذكيرهم بما فعلوه، وكأنّ فيه شيء من العتاب بسبب ما فعلوه.

4- الإنكار والتوبيخ

ومن ذلك ما ورد في حوار نبي الله يوسف مع إخوته بعد أن جاءوا لطلب الميرة والكيل في سني القحط والجدب حيث قال: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ [يوسف: 89] فالاستفهام ليس على حقيقته وهو طلب الفهم؛ وذلك لكونه معلوم عند السائل والمستؤل؛ وإنما أريد به التوبيخ على ما وقع منهم من أذى له ولأخيه؛ فاستعمل صيغة الاستفهام لأجل ذلك، وقد كان الجواب كأنّه "قال علمتم قبحه"²؛ ولذلك جاء الرد بالاستفهام التقريري في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف وذلك بعد أن عرفوه: ﴿أؤتّك لأنّك يوسف﴾ [يوسف: 90] والمرد من هذا الاستفهام هو الإقرار.

¹ - ينظر: سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 304/7.

² - الزمخشري، الكشاف، 500/2.

5- التعجب والإنكار

ورد ذلك رداً على صاحب الجنتين الذي تفاخر على صاحبه، و الذي صرح بعدم فناء بستانيه، حيث رد عليه صاحبه بقوله: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الكهف: 37] وقد أراد الإنكار¹ عليه والتعجب من حالته كيف جحد بمن خلقه من تراب، وليس المراد منه حقيقة الاستفهام، والسر البلاغي في إيراد التعجب والإنكار في صيغة الاستفهام هو لحث ذهن المخاطب على التفكير بمن خلقه وسواه من تراب ثم من نطفة، والاستدلال بذلك على قدرة الله في أن يعيده كما أوجده رداً على شكّه في البعث.

6- التعجب والاستبعاد

ورد ذلك في حوار الخضر مع نبي الله موسى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: 68] فالاستفهام هنا "مفيد للتعجب"² واستبعاد حصول الصبر؛ وذلك لعلم الخضر عدم صبر نبي الله موسى على ما سيشاهده من الأمور العجيبة، ولكنه أورد بصيغة الاستفهام لتنبية نبي الله موسى على أنه سيرى أمور عظيمة ظاهرها شر محض، وباطنها كله خير ينكرها ليس عنده علم بها.

7- العرض والدعاء

جاء ذلك في كلام الحواريين مع عيسى فيما قص الله عنهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ [المائدة: 112] عند ما طلبوا المائدة من السماء، وليس الغرض منه الاستفهام؛ إذ هو معلوم عندهم

¹ - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 222/5.

² - محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه، 512/5.

أن الله قادر على أن ينزل؛ ولكنه على سبيل العرض والدعاء والغرض من وروده على سبيل الاستفهام لإفادة التلطف والتأدب بالسؤال وهذا الأسلوب شائع عند العرب في كلامهم¹،

وقد ورد ذلك أيضاً في حوار نبي الله موسى مع الخضر: ﴿هل أتبعك على أن تُعلِّمَنِي﴾ [الكهف: 66] وذلك حينما أراد نبي الله موسى أن يصحب الخضر من أجل أن يتعلم منه، والاستفهام هنا يفيد العرض؛ وذلك لأنه "استفهام عن عمل نفس المستفهم"²؛ ولكن مجي العرض بصيغة الاستفهام للدلالة على التلطف في الطلب وكذلك على كمال أدب³ نبي الله موسى في تعامله مع الخضر.

8- الإنكار

وذلك في قوله تعالى على لسان موسى في حوار مع الخضر عندما خرق السفينة: ﴿قال أخرجتها لئُغرق أهلها﴾ [الكهف: 71] فهو هنا لم يرد الاستفهام حقاً وإنما أراد إنكار هذا الأمر الذي يرى ظاهره شر، وأن هذا الخرق سيؤدي إلى إهلاك أهل هذه السفينة؛ لذلك قال: ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ [الكهف: 71] أي "شيئاً عظيماً"⁴ فأجابه الخضر بجملة استفهامية مقامها التقرير، وغرضها اللوم وهو قوله: ﴿أم أفل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ [الكهف: 72] يقرره بقوله الأول بعدم استطاعته الصبر على ما سيشاهده من الأمور التي يصعب الصبر على مثلها، والسر البلاغي في ذلك تذكيره بما جرى بينهما من الاشتراط في أول الطريق، فما كان من نبي الله موسى إلا أن يتذكر ذلك فيعتذر على ما كان، وقد ورد الإنكار في حوار نبي الله موسى مع أخيه هارون؛ وذلك بعد أن رجع ووجد قومه يعبدون العجل، وكان

¹ - ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 365/6، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 105/7.

² - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 369/15.

³ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 483/21، والطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 552/8.

⁴ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 72/18.

قد استخلف عليهم هارون فقال منكراً لما شاهده مخاطباً أخيه: ﴿ قَالَ يُهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۙ أَذًى لَا تَتَّبِعُنِ أَفْعَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه: 92:93] والاستفهام هنا يفيد اللوم والإنكار¹.

ومن ذلك ما جاء في حوار الصديقين في سورة الصافات، والذي كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً، فبينما المسلم يتقلب في نعيم الجنة مع جلسائه تذكر صاحبه الكافر الذي كان يحاوره ويراجعه رجاء جره للكفر وتركه للإسلام، فقال الله تعالى على لسانه: ﴿ أَوَيْتَ لِمَنِ الْمَصَدِّقِينَ ۚ ٥٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَاءَ لِمَلِيئُونَ ۚ ٥٣ ﴾ [الصافات: 52-53] فالاستفهام هنا أريد به الإنكار²، وليس على حقيقته ومجيء حرف التوكيد ملصقاً بحرف الاستفهام للدلالة على أنه متحقق من إسلام صاحبه³، ثم شرع يشككه في إسلامه وتوحيده فمجيء هذا الإنكار على صيغة الاستفهام هو من مزيد مكر هذا الصاحب بصاحبه، وحثه على الرجوع عن ما هو عليه.

المطلب الرابع: أسلوب التّداء

التّداء: " هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك"⁴.

والغرض من التّداء أن ينتبه من يُنادى الى الأمر الذي له بال؛ ولذلك غالباً ما يأتي بعد التّداء أوامر أو نواه أو استفهام أو أخبار يُنبه إليها من يتوجه إليه التّداء⁵، وهذا مُشاهد في نصوص الكتاب والسنة

¹- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 92/22.

²- ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 32/4، والرازي، مفاتيح الغيب، 333/26، والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 14/4.

³- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 116/23.

⁴- يحيى بن حمزة المؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 161/3.

⁵- المصدر السابق نفسه، 135/3.

وأشعار العرب، وحروف النداء هي الهمزة وأي و يا و آ وأي¹، وقد جاءت جميع النداءات في حوار الإخوة والأصحاب بحرف الياء، والنداء دلالة على الطلب على أرجح الأحوال دلالة مطابقته²؛ وذلك لأنه يأتي بمعنى (أقبل).

أولاً: ورود النداء على حقيقته

وقد جاء في آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب مواطن معدودة فيها أسلوب النداء؛ منها ما جاء في حوار نبي الله يوسف مع صاحبي السجن في قوله: ﴿يُصْحِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39] فالنداء في هذه الآية دلالة على الطلب دلالة مطابقة، يريد منهم أن يقبلوا إليه ويستمعوا لما يقوله لهم، وقد ناداهم بصحبة السجن حيث المكان الذي جُمعوا به و عايشوا الابتلاء نفسه وجرت عليهم فيه المحنة عينها؛ لذلك تحصل فيه من الألفة مالا يحصل في غيره "ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة"³؛ حتى يستدعي انتباههم لعظيم ما سيعرض عليهم من أمور شأنها خطير، قد ألفتها أنفسهم وعاشوا عليها دهوراً متواصلة، لذلك تجد من عظيم وجميل تعبير القران استعمال أسلوب الاستفهام: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ مع أنّ القضية مفرغ عنده منها وكأنّه لم يرد أن يصدّمهم بتقرير ذلك بجملة خبرية حتى لا يصعب عليهم تقبل الأمر، وهذا من عظيم روعة بيان القرآن وتعبيره في بيان تल्पف نبي الله يوسف في دعوته هذه الصحبة⁴، ثمّ كرر النداء عليهم في الآية التي بعدها حينما أراد أن يخبرهم بتعبير رؤياهم التي سألوها من قبل فكرر النداء عليهم بقوله: ﴿يُصْحِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ

¹ - أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، 129 .

² - ينظر: محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، 435/2.

³ - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 4/ 278.

⁴ - ينظر: تفسير الألوسي، روح المعاني، 6/ 434.

رأسه) [يوسف: 41] والعلة في تكرير النداء لكونه أمر آخر غير ما سبق الكلام عليه من دعوته لهم،¹ ثم شرع بتبيين ما سألوه إياه من قبل، وهو تعبير الرؤى لهم وبيان ما سيؤول حال كل واحد منهم إليه فقدّم هذا البيان بالنداء لأجل ذلك.

ثانيا: خروج النداء الى معانٍ بلاغية اخرى

ويُستعمل أسلوب النداء ويراد به معان بلاغية أخرى غير حقيقة النداء والذي هو طلب الإقبال، ويتم فهمها من السياق وتدل عليها القرائن المعلومة من الأحوال، ومن تلك المعاني الاستعطاف أو التعظيم أو الحث والإغراء² وغيرها من المعاني ومما أفاده النداء في آيات الحوار

1- الحث والإغراء

ورد في نداء الحواريين حين نادوا نبي الله عيسى وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 112] والغرض من النداء هنا هو الحث والإغراء على طلب الأمر الذي نادوه عليه من أجله؛ لذلك نادوه هنا باسمه لخته وإغرائه على أن يسأل الله لهم ما طلبوه من أمر المائدة؛ فاستعملوا النداء في بداية خطابهم لعلمهم أنّ الأمر "فيه اقتراح وكلفه له"³ فكان النداء بمثابة المقدمة لأجل ما سيطلبون ثم يتوصلون من خلال ذلك لخته على طلب ما يريدون .

¹ - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 4 / 279.

² - ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 3 / 91.

³ - الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، 7 \ 105.

2- الاستعطاف والاسترحام

ورد في حوار الإخوة مع نبي الله يوسف وذلك في قولهم: ﴿يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أبا شَيْخاً كَبِيراً﴾ [يوسف: 78] فالنداء هنا أريد به الاستعطاف والاسترحام في بيان حال أبيهم؛ رجاء أن يترك لهم بنيامين ولا يأخذه رحمةً بأبيهم، مع إظهار التبجيل ليوسف وذلك بمناداتهم إياه بالعزير¹، وورد كذلك في حوارهم حينما أرسلهم أبوهم ليتحسسوا من يوسف وأخيه إذ نادوه أيضاً بقولهم: ﴿يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْتَنَا وَأَهْلَنَا أَلْضُرُّ﴾ [يوسف: 88] فالنداء هنا يقطر استعطافاً واسترحاماً، وبيان ما بعده بيان في إظهار ما أصابهم مستعطفين إياه بندائه يا أيها الملك فما كان إلا "أن رَقَّ لهم يوسف رقَّةً شديدة"².

3- التوبيخ والتهديد

ورد ذلك في حوار نبي الله موسى مع أخيه هارون في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ [طه: 92] فإنه أراد بندائه "التوبيخ والتهديد على بقاءه بين عبدة الصنم"³ فإنه المقصود من النداء في هذا الموضوع؛ وذلك لأنه سبق وإن أوصاه وحذّره من إتباع سبيل المفسدين قبل أن يذهب لمنجاة ربه؛ لذلك أتبع هذا النداء باستفهام غرضه الإنكار.

¹- ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 180/10، و محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (القاهرة: دار الصابوني، 1417هـ - 1997م)، 57/2.

²- السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، 404.

³- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 291/16.

وقد خرج النداء إلى هذا المعنى في حوار نبي الله هارون مع أخيه موسى، وذلك بعد أن عنّقه على عدم خروجه، وتركه لبني إسرائيل بعد أن عبدوا العجل؛ ناداه هارون بقوله: ﴿يَبْنُؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ "استعظما لحقها وترقيقاً لقلبه"¹ حتى يستميله في عدم مؤاخذته.

لقد وُظفت القواعد البلاغية أتمّما توظيف وذلك من خلال الأساليب الإنشائية بمختلف مدلولاتها في آيات الحوار من الأوامر والنواهي والاستفهام والنداء، وتبين كيف جرت تلك الأساليب وخاصة أنّ المتحاورين إخوة أو أصحاب، فكشفت عن مضامين تلك الحوارات عند استعمال هذه الأساليب في التحاور بين متساويين في الرتبة غالباً، كما رأينا في تحليل الآيات التي جاءت تحمل معاني بلاغية خرجت عن ظاهر الأوامر والنواهي إلى مضامين أخرى كشف عنها البحث، كذلك التنوع في استعمال الأساليب فقد جاءت كلها تكشف عن دقة وروعة البيان...

ولقد ورد في آيات الحوار ألوان من الأساليب الخبرية والإنشائية تحمل روعة في البيان ودقة في التعبير، حيث جمعت هذه الأساليب في موضع واحد على لسان نبي الله يوسف حين طلب أخاه: ﴿قَالَ أَتُؤْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوِّبِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ [يوسف: 59-60] (اتوني بأخ، ألا ترون، ولا تقربون) فإنه استعمل الأمر والنهي والاستفهام في ترغيب إخوته من أجل تحصيل ما أراد من مجيء أخيه ومنها وما جاء على حقيقته ومنها ما خرج إلى غير ذلك من الإلزام في الأمر، أو التحضيض في الاستفهام، أو التهديد في النهي، وكل ذلك يعبر عمّا في داخله من شدّة حاجته لإحضار أخيه، وإن كان ما نقله أهل التفسير إنّ إخوته كانوا في

¹-أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 561/8

نهاية الحاجة إلى تحصيل الطعام¹ فإنّ يوسف كان في نهاية الحاجة لمجيء أخيه، فإنا لروعة الحوار وأساليبه التي جاءت لتكشف عن مثل هذه المعاني.



¹-الرازي، مفاتيح الغيب، 478/18.

الفصل الثاني: دلالات التراكيب في آيات حوار الإخوة والأصحاب

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: دلالة الذكر والحذف والتقديم والتأخير

المطلب الأول: الذكر والحذف

المطلب الثاني: التقديم والتأخير

المبحث الثاني: دلالة الإظهار والإضمار

المطلب الأول: الإظهار

المطلب الثاني: الإضمار

المبحث الثالث: دلالة القصر

المطلب الأول: القصر بالنفي والاستثناء

المطلب الثاني: القصر بإنما

المطلب الثالث: القصر بطرق أخرى

المبحث الرابع: دلالة الفصل والوصل

المطلب الأول: دلالات الفصل بين الجمل

المطلب الثاني: دلالات الوصل بين الجمل

المبحث الخامس: دلالة الإيجاز و الإطناب

المطلب الأول: دلالة الإيجاز

المطلب الثاني: دلالة الإطناب

تنطلق دلالة التراكيب على المضامين من خلال أساليب علم المعاني، والذي عرفه السكاكي بقوله: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره"¹.

أما القزويني فقد عرفه بقوله: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال"².

فعلم المعاني هو العلم الذي يُدرس فيه أحوال الجملة وأساليبها، من إظهار وإضمار، وفصل ووصل، وغيرها من الأساليب، ويشتمل على أبواب متعددة من الأساليب، يبحث من خلالها مطابقة اللفظ لمقتضى الحال، وقد اهتم العلماء بهذا العلم كل الاهتمام، فالفقيه عندهم وإن برز على أقرانه والمتكلم والقاص والحافظ والنحوي وإن فاقوا من سبق، إلا أن كل واحد منهم لا يتصدى لطرائق التفسير، ولا يقف على حقائقها إلا بعد إتقانه لعلمي المعاني والبديع³؛ لذلك كان الاهتمام عندهم بقواعد وأساليب هذا العلم كبيراً عند دراسة الآيات القرآنية، وأصل القواعد في هذا العلم أن تكون موافقة لمقتضى الحال؛ حتى "يتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس؟ ولم تأت زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة"⁴، وسيجري البحث في آيات الحوار وفق القواعد التي وضعها البلاغيون ضمن هذه الأبواب؛ لكي يكشف عن دقائق المعاني ويستخرج منها الدرر المنشورة في هذه الآيات، وفق مراجعة دقيقة لتلك التراكيب وما احتوت عليه في سياقاتها البديعة.

¹- يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي، **مفتاح العلوم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، 161.

²- محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي، **تلخيص المفتاح مع شرحه الجديد تنوير المصباح**، (باكستان: مكتبة المدينة، 1437هـ)، 10.

³- بتصريف: الزمخشري، **الكشاف**، 42,43/1.

⁴- محمد أبو موسى، **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، 75.

المبحث الأول: دلالات أسلوب الذكر والحذف والتقديم والتأخير

المطلب الأول: دلالات أسلوب الذكر والحذف

الأصل في الكلام هو الذكر، والعدول عن هذا الذكر يكون لقرائن وأسباب يأتي من خلالها الحذف، ولكن للذكر أيضا قرائن ترجح وجوده، وقد ذكر البلاغيون جملة من تلك الأسباب منها، لزيادة التقرير والإيضاح أو إظهار التعظيم أو الإهانة... وغير ذلك من الأسباب التي ذكرت¹، وأما الحذف فهو باب اللغة العربية وعلمها الذي " ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة"²، لذلك لا بد من الوقوف على مجريات الكلام و الأحوال التي تلزم الإشارة و التنبيه، و المقصود الأصلي بالذكر والحذف هو ذكر المسند إليه والمسند وكذلك المتعلقة بما لذلك لا بد من النظر في آيات الحوار لمعرفة بعض الأسرار التي تشير إلى هذا الذكر أو الحذف و تمييزه من خلال المعاني التي سيكشف عنها والتي جرت من خلال الحوار بين الإخوة والأصحاب.

الذكر

وقف الباحث على مواضع من آيات الحوار جرى فيها ذكر المسند إليه والمسند وبعض المتعلقة وظهر للباحث أن ذكر المسند إليه في بعض آيات الحوار ورد للأغراض الآتية:

أولاً: أغراض ذكر المسند إليه

1- لزيادة الإيضاح والتقرير أو لزيادة إيضاح الخطأ وتأكيد

¹ - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، 207، والقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 7/2.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، 146/1.

وقد ورد هذا الغرض من ذكر المسند إليه في تحاور إخوة نبي الله يوسف فيما بينهم عند حديثهم عن أبيهم وتفضله ليوسف وأخيه حيث قالوا: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8] فقد ذكروا أباهم مرتين، مرة في بيان تفضيله ليوسف ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا﴾ ومرة في التأكيد والتقدير لبيان خطئه فيما ذهب له، وكذلك في قولهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا﴾ حيث كان من الممكن أن يستغنى عن المسند إليه فيقال (إنه لفي ضلال مبين)، ولكن مجيء هذا الذكر لغرض بيانهم لزيادة الإيضاح والتأكيد على خطأ ما ذهب إليه أبوه من تفضيله ليوسف وأخيه وهذا ما يحكيه ذكر المسند إليه عما في نفوسهم.

2- التلذذ بذكر المسند إليه

وقد ورد هذا الغرض من ذكر المسند إليه، وذلك في حوار الصاحب المؤمن مع صاحبه صاحب الجنتين حينما أعلن صاحب الجنتين كفره و اغتراره رد عليه صاحبه المؤمن بقوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: 38] فقد كرر ذكر المسند إليه وهو اسم الجلالة الله والذي جاء بعد ذكر الضمير (هو) وكان ممكن أن يستغنى عن أحدهما، ولكن يستشعر من الكلام أن في ذكر المسند إليه مرة أخرى تلذذ واعتزاز من الصاحب المؤمن بذكر ربه، أظهره في بيان رده على صاحبه المغتر، فكما أنه اغتر وافترخر بماله فإن الصاحب المؤمن اعتز وتلذذ بذكره لربه وعقيدته به.

3- بيان عظم الفضل

وقد ورد هذا الغرض من الذكر في حوار إخوة نبي الله يوسف عند بيان اعتذارهم عما فعلوه ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 91] فإن اسم الجلالة قد ذكر مرتين، مرة في القسم

ومرة في بيان ذكر الإيثار، وكان من الممكن أن يعتاض عن اسم الجلالة في بيان الإيثار؛ لدلالة القسم عليه فيكون الكلام (تالله لقد آثرك علينا) فيحذف المسند إليه في جملة الإيثار ويعتاض عنه بالضمير؛ ولكن ذكر اسم الجلالة المسند إليه مرة ثانية هو لبيان عظيم فضل الله على يوسف، وكأنهم يقولون أن من تولى تفضيلك واختصاصك بهذا الخير و الإيثار الذي "يعم جميع التفضل وأنواع العطايا"¹ لا يقدر عليه إلا الله مع ما فيه من تضمين طلب العفو والصفح؛ لذلك كرر اسم الجلالة في حوارهم لإيقاع وبيان مثل هذا الأثر.

4- التحقير والتهوين

فقد ورد في حوار أصحاب الكهف بعد إعلانهم للتوحيد وترك ما عليه قومهم من شرك بالله وعبادة غيره، فقد أشاروا لقومهم بقولهم: ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ [الكهف: 15] فقد ذكروا قومهم وأشاروا إليهم باسم الإشارة "وفي اسم الإشارة تحقير لهم"²، ولما هم فيه من عبادة غير الله، ثم ذكروا بعد ذلك ﴿قَوْمُنَا﴾ وكان الإشارة إليهم باسم الإشارة يكفي وذلك لأن المشار إليهم معلوم عندهم، فهم ميزوا قومهم أكمل تتميز من خلال هذه الإشارة وذكر المسند إليه وهم القوم المبتدأ الثاني، لبيان سوء ما ذهبوا إليه ، وهذا من مواقف الصحبة الشجاعة التي لا تخشى في الله لومة لائم، والتي اجتمعت على عبادة الله وتوحيده.

ثانياً: ذكر المسند

وكما أن لذكر المسند إليه أغراضاً كذلك ثمة أغراض لذكر المسند في الكلام وهي:

¹- أبو حيان، البحر المحيط، 6/ 317.

²- الآلوسي، روح المعاني، 8/ 209.

1- لزيادة تقرير الكلام وتثبيت معناه

ويظهر هذا الغرض في حوار نبي الله عيسى مع خُلاص صحبه من الحواريين؛ وذلك حين سأهم عمن يقوم بنصرته بتبليغ دين الله؟ وذلك في قوله تعالى: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ [الصف: 14] فأجابوه بقولهم: ﴿نحن أنصارُ الله﴾ [الصف: 14] فذكر المسند هنا والذي هو ﴿أنصارُ﴾ خبر المبتدأ كان يمكن عدم ذكره في غير القرآن للدلالة السؤال الذي طرحه نبي الله عيسى فيكون الجواب بقولهم (نحن) ولكن ذكر المسند هنا في الكلام إشارة إلى تقرير الكلام وتثبيته في بيان إعلانهم نصرته دين الله عز وجل مع نبي الله عيسى، وكذلك ذكر وإظهار اسم الجلالة ﴿الله﴾ وإظهاره بدل إضماره حيث كان يمكن أن يقولوا نحن أنصاره وكل ذلك يدل على إيمانهم الراسخ، وأن هذا الذكر، والاطهار يدل على عظيم ما في قلوبهم من الإيمان، وهذه صورة جميلة يظهرها الله لصحابة نبينا يدعوهم فيها إلى الاقتداء بخلاص أصحاب عيسى من الحواريين لأنهم قاموا خير مقام بحق صحبة نبيهم.

2- إفادة التجدد أو الثبوت

وقد يذكر المسند ليتبين هل هو فعل فيدل على التجدد أو اسم فيدل على الثبوت،¹ وقد ورد ذلك عند لقاء نبي الله يوسف بإخوته وذلك في قوله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: 58] حيث أنه ورد ذكر المسند عن حال نبي الله يوسف بالفعل ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ وهو الذي يدل على التجدد حيث أن معرفته لهم متجددة قبل وبعد لم ينس أشكالهم، وأما المسند الذي يصف حالهم حيث جاء بالجملة الاسمية

¹-ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، (عمان: دار النفائس، 2009م)، 262.

وبالتقديم، والذكر هنا يفيد أن نسيانهم له ثابت وقيل ما طراً عليه من تغير شكله، أو لكونه يلبس لباس الملوك¹، وفيه إشارة لما أنكره من حق الألفة والإخوة، كأن هذا النكران ثابت لم يتغير.

وقد ورد هذا الغرض من الذكر في حوار صويحبات امرأة العزيز؛ وذلك بعد أن شاع خبرها بمراودتها لنبى الله يوسف وتعلقها به حيث قلن: ﴿أمرأتُ العزيزِ تُروِّدُ فتُها﴾ [يوسف: 30] فقد ورد ذكر المسند بالفعل المضارع ﴿تُروِّدُ﴾ مع أن المرادة حدثت في الماضي؛ وذلك لإفادة التجدد والتكرار منها لهذا الفعل، وكون المرادة مستمرة منها تجاه نبى الله يوسف، وهذا الكلام من حوار الصويحبات يفيد علمهن أنهن لم تنقطع عن هذه المرادة²، وفي قولهن امرأة العزيز وإضافتها للعزيز مبالغة في التشنيع على فعلها؛ كون من مثلها تنتسب إلى من هذه مكانته لا ينبغي أن يخرج منها هذا الفعل، ومن ثم ذكر العزيز هنا فيه مدعاة أخرى وهي ميل النفوس إلى سماع مثل هذا الخبر لتعلقه بذوي الجاه والسلطان؛ لأن أخبارهم مما تميل النفس إلى سماعه³، وهذا حال الصحبة الدنيوية لا يوجد فيها ستر، ولا عذر، وإنما الإشاعة والتشفي.

3- التفنن في تعليم الأدب

وقد ورد هذا الغرض من ذكر المسند والمغايرة بذكر المسند إليه تبعاً له، في حوار الخضر مع نبى الله موسى في قوله: ﴿فأردتُ أن أعيبها﴾ [الكهف: 79] وهذا في شأن السفينة، وأما في شأن الغلام فقال: ﴿فأردنا أن يُبدلَهُما رُتُهما خيراً﴾ [الكهف: 81] ولأجل كثر اليتيمين قال: ﴿فأراد رُبُّكَ أن يبلِّغنا أشدَّهُما

¹-ينظر: الألوسي، روح المعاني، 9/7.

²-ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 266/6، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 270/4.

³ - بتصرف: محمد بن أبى بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1410هـ)، 327، والهرري، حقائق الروح والريحان، 414/13.

ويستخرجها كنزها» [الكهف: 82] فذكر المسند هنا وهو الفعل مع التغيير في نسبه مره لنفسه ومرة لله عز وجل فالذي كان ظاهره شرا محضا نسبه لنفسه والذي كان ظاهره خيرا محضا نسبه إلى الله، كل ذلك إظهارا وتعلينا للأدب¹ مع الله عز وجل، مع أن أصل هذه الأوامر كلها من الله؛ ولكنه أراد أن يرشده إلى اظهار الأدب في الحديث عن الله وعن أقداره، وهذه خصلة من خصال الخير التي تبين من خلال صحبة هذين الرجلين الفاضلين؛ لذلك كرر ذكر المسند وهو الفعل، مع فاعله بأساليب مختلفة.

ثالثا: ذكر المتعلقات

1- إظهار الفضل أو التعظيم

وقد ورد هذا الغرض من ذكر المتعلقات في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: 40] وقد جرى هذا الذكر: ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ من أجل بيان عظيم فضل أبي بكر الصديق، وبيان علو منزلته²؛ إذ أثبت الله له هذه الصحبة وذلك من خلال ذكر وثبات الصحبة له في سياق هذه الآية التي جاءت تتحدث عما جرى بين النبي (صلى الله عليه وسلم) والصديق (رضي الله عنه)، وهذا شأن صحبة الدين التي تجتمع على طاعة الله عز وجل ونصرة دينه، يتولى الله بفضله إظهار مكانتها وبيان خيريتها.

2- الاستعفاف

وقد ورد هذا الغرض من ذكر المفعول به في حوار إخوة نبي الله يوسف في المرة الثانية وذلك في قولهم: ﴿مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْأَظْرُ﴾ [يوسف: 88] حيث أن قولهم: ﴿مَسْنَا﴾ يدل على أن الضر والفاقة قد

¹-ينظر: محمد علي الصابوني، كتاب صفوة التفاسير، 185/2.

²-ينظر: المهري، حدائق الروح والريحان، 276/11.

أصابته وأصاب أهليهم، ولكن ذكروا بعدها: ﴿وأهلنا﴾ والغرض من هذا الذكر هو استعطاف نبي الله يوسف، لعله يرق لهم ويعطيهم ما يريدون من الميرة، وكذلك يرد أحيهم لهم، وقد حصل لهم ما أرادوا من الاستعطاف.

الحذف

وقد ورد في آيات الحوار حذف بعض المتعلقات والتي كان لحذفها أغراض بلاغية منها:

1- لإفادة تعميم الظلم

فقد ورد هذا الحذف في حوار الإخوة أصحاب الجنة؛ وذلك بعد تحققهم من أن جنتهم قد احترقت فقالوا معترفين ومقررين بذنبهم: ﴿قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظٰلِمِينَ﴾ [القلم: 29] حيث حذف مفعول (ظالمين) ولهذا الحذف سر بلاغي وهو لتعميم هذا الظلم وهو أن هذا الظلم وقع على انفسهم ووقع على المساكين،¹ فأما الظلم الذي وقع على انفسهم وهو أنهم تسبوا في سلب النعمة التي أنعم الله بها عليهم، وأما ظلمهم للمساكين كونهم منعوهم من الحق الذي فرضه الله لهم من ثمار البستان، وقد أظهر هذا الحذف هذه المعاني.

2- لإفادة تعميم الخير

وقد ورد هذا الغرض من حذف المفعول في حوار أصحاب الكهف؛ وذلك بعد أن وجهوا بعضهم بعضا بالذهاب إلى الكهف، حيث قالوا: ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ﴾ [الكهف: 16] حيث حذف

¹-بتصرف: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 29 / 87.

مفعول ﴿ينشر﴾ وتقديره الخير،¹ وكأن هذا الحذف يشير إلى حسن ظنهم بالله بأنه سيسر لهم كل ما فيه الخير من أمورهم فوق الرحمة التي يحتاجونها، ويا لفرق الحال بينهم وبين أصحاب الجنة في المثال السابق، بين من وقع في المعصية وظلم، وبين من ترك كل شيء لله، فحاز على خير الدنيا والآخرة، وهذا الحذف فيه مزية أخرى وهي الاختصار والابحاز.

المطلب الثاني: التقديم والتأخير

حينما تم استقراء النظم في الكلام العربي، وجد أن لكل مفردة من هذا الكلام مكانها المعروف والذي ينبغي أن توجد فيه، وذلك حسب استقراء المستنبط من النظم العربي، ولكن في بعض الأحيان يخرج هذا النظم عن الأنماط المعروفة، فيتم تبديل المفردات أو الجمل نفسها تارة بالتقديم وأخرى بالتأخير، حسب اقتضاء الحال وما يرنوا إليه المتحدث، وقد رصد البلاغيون هذه الحالة وأفردوا لها مباحث في كتب البلاغة، لإظهار السبب الوجيه وراء هذا الأسلوب والذي يقول عنه عبد القاهر "هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جُمُّ المحاسن، واسعُ التصرف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يُقترُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفة"²، وفيما يلي مواضع من آيات الحوار جرى فيها التقديم والتأخير .

¹-ينظر: الألوسي، روح المعاني، 8/ 211.

²-عبد القاهر الجرجاني، دلالات الإعجاز، 106/1.

أولاً: تقديم المسند إليه

1-التخصيص و تأكيد الأمر

ويكون التخصيص عند البلاغيين إذا كان المسند إليه واقع بعد نفي وأن يكون المسند فعلاً أو ما في معناه، كاسم الفاعل أو اسم المفعول، فيفيد عندها التخصيص¹، وقد ورد هذا في حوار ابني آدم وذلك في قول هايبيل لأخيه: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 28] فقد قدم المسند إليه والذي هو الضمير (أنا)؛ وذلك لإفادة تخصيص الحكم و تأكيده وتقويته، حيث أراد بهذا التقديم أن يبين لأخيه أنه ممتنع عن مد يده إليه بالسوء، فالتقديم أفاد التخصيص لنفسه بالبراءة من هذا الفعل الشنيع، "ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي"².

2-تقوية الحكم و تأكيده

ويكون ذلك عن طريق تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المتضمن للفاعل، فيكون إبراز المسند إليه وإظهاره مدعاة لتقوية الحكم و تأكيده³، وقد ورد ذلك في حوار صاحب الجنتين في قوله: ﴿فَقَالَ لِصُحْبِهِ وَهُوَ يُجَاوِزُهُ﴾ [الكهف: 34] حيث قدم الضمير المبتدأ (هو) الدال على المحاور وهو الصاحب المتفاخر، قدم على الفعل ﴿يُجَاوِزُهُ﴾ وفيه دلالة على تأكيد الحكم وتقويته، بأن هذا الكلام صادر من هذا الصاحب المتفاخر، على صاحبه المتفاخر عليه.

¹ - بتصرف: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفعالها، 222.

² - الزمخشري، الكشاف، 626/1.

³ - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 112/2.

ثانياً: تقديم المسند

1- تمكين المسند في الذهن

ورد هذا التقديم في حوار الخضر مع نبي الله موسى في رحلة طلب العلم والحوادث الثلاث؛ وذلك حينما شرع بتبين أمر السفينة وعلّة خرقها حيث قال له: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ [الكهف: 79] قدم المسند وهو شبه الجملة ﴿ وَرَاءَهُمْ ﴾ على المسند إليه وهو ﴿ مَلِكٌ ﴾؛ وذلك لغرض التمكين للخبر في ذهن السامع، وفيه مزيد إعلام من الخضر لنبي الله موسى لخطورة الأمر من هذا الملك وقربه منهم، بعد الاستفهام الذي وقع منه.

2- تقديم المسند لأهميته

ورد تقديم المسند في حوار الخضر مع نبي الله موسى وذلك في قوله: ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ [الكهف: 82] حيث قدم المسند الخبر وهو شبه الجملة ﴿ تَحْتَهُ ﴾ على المبتدأ المسند إليه وهو قوله: ﴿ كَنْزٌ ﴾ وذلك لإبراز أهمية المسند المقدم، لأنه مكان وجود الكنز حيث قام بإصلاحه بالكلام في الأصل عن الجدار وأهميته، لذلك قدم المسند على المسند إليه.

ثالثاً: تقديم المتعلقات

1- التشويق لغرض الرغبة في حصول الأمر والحاجة إليه

ورد هذا الغرض من التقديم في كلام أصحاب الكهف؛ وذلك في أثناء مناجاتهم الله، حيث أظهر المولى جل في علاه مناجاتهم هذه، ودعائهم والذي جعله الله نبراساً لكل الشباب والفتيان الذين جعلوا عبودية الله همهم ومقصدهم، حيث ذكر على لسان هؤلاء الصحبة في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: 10] حيث أخرج المفعول الصريح والذي هو ﴿ رَحْمَةً ﴾ و ﴿

رشداً» للفعل المذكور ﴿ءَاتِنَا﴾ و ﴿وَهَيِّئْ﴾ وقدم متعلقات الفعل من الجار والمجرور والذي هو من أحواله؛ وذلك للدلالة على اعتناء المتكلم بهذا المتأخر ورغبته الشديدة في حصول هذا الأمر، كما أن فيه من التشويق مالا يخفى وهذا ظاهر في تأخير ما حقه التقديم من المعاني،¹ حيث أن السامع لهذا الدعاء يتولد فيه الشوق لإكمال العبارة حتى يصل للمفعول الصريح والذي هو لب الطلب والسؤال، ومن ثم فإن مجيء كلمة رحمة نكرة منونة في الآية تدل على التعظيم والتنويع²، وأنهم بحاجة لرحمة كبيرة عظيمة تناسب ما هم فيه من شدة الحال من فراق الأهل والوطن.

3- التخصيص

وقد ورد في حوار إخوة نبي الله يوسف فيما بينهم هذا التقديم وذلك في قولهم: ﴿يَجْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: 9] (حيث الأصل يجلو وجه أبيكم لكم) فتقديم الجار والمجرور يفيد تخصيص هذا الخلو لهم دون غيرهم، وفيه شدة تعلقهم بأبيهم وشدة انشغالهم بهذا الأمر، أفاد هذا التقديم هذه المعاني، وكذلك في حوار هابيل وقابيل في قوله: ﴿لئن بسطت إليّ يدك﴾ [المائدة: 28] حيث قدم أيضاً الجار والمجرور على المفعول الصريح وفيه أيضاً التبكيت والعتب وكأن في هذا التقديم نوع العتب والتوبيخ على جرأته واقدامه المخالف لما عليه الإنسان الطبيعي فهو ينكر عليه ذلك.

رابعاً: تقديم بعض الجمل على بعض

وقد ذكر العلماء أسباب أخرى للتقديم والتأخير منها تقديم بعض الجمل أو المعاني على بعض³.

¹ - بتصريف: ابو السعود، إرشاد العقل السليم، 206/5، والآلوسي، روح المعاني، 211/8.

² - ينظر: سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 476/8.

³ - ينظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار المعرفة، حلب: دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ - 1957م)، 239/3.

- التقديم : لغرض العناية بالمقدم

ورد هذا الغرض في حوار الخضر مع نبي الله موسى؛ وذلك عند تبينه سبب خرق السفينة وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: 79] حيث قدمت هذه الجملة على قوله: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79] حيث إن مقتضى ظاهر الكلام تقديم ذكر الملك الظالم وأخذه للسفن، على ذكر إحداث الخرق والعيب فيها؛ وذلك لأن خوف الغصب على السفينة هو الذي تسبب في خرقها وإرادة العيب تسبب فيها الخوف من الغصب؛ فقدم المسبب على من تسبب به، أي إرادة العيب على الخوف من الملك الظالم، ولعل السر البلاغي في دلالة التقديم هذه هو ليس الخوف من الغصب من تسبب بالخرق وحده، وإنما لكون هذه السفينة يملكها المساكين الضعفاء،¹ ففعل الخرق هو من رحمته بهم .

المبحث الثاني: الإظهار والإضمار

الإظهار والإضمار من أهم الجوانب التي يعتد بها في بناء الجملة الآتية في سياق بلاغة القرآن؛ ويتمثل هذا الأسلوب في مجيء بعض العناصر اسما ظاهرا مع جواز الإشارة إليه بالضمير، وكذلك العكس عند مجيء الضمير، وهذا يثير التساؤل عن السبب؛ لذلك عدّ البلاغيون هذا الأسلوب هو من الخروج على خلاف مقتضى الظاهر²، وأظهروا الاعتناء به لما له من مزايا بلاغية خاصة ودقيقة، لاسيما وأن القرآن الكريم قد اشتمل في أساليبه على هذا الفن من خلال ما دلّ عليه من إشارات بليغة³، ومعاني لها دلالات فريدة،

¹ - بتصرف، الزنجشيري، الكشاف، 704/2، ومحبي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، (حمص: دار الإرشاد للثنون الجامعية، دمشق، بيروت: دار اليمامة، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٥هـ)، 17/6.

² - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 80، 81/2.

³ - ينظر: يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 148/2.

يجب أن يشمر لها الباحثون همهم بالتنقيب عنها والكشف عن جمالها، وقد احتوت آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب على هذا النوع من البلاغة العالية، والتي ضمنت تحتها معانٍ كثيرة سيتطرق لها البحث، وسيجري في موضوعين رئيسيين، وهما الإظهار في موطن الإضمار، والإضمار في موطن الإظهار.

المطلب الأول: الإظهار في موطن الإضمار

الظاهر أو المظهر: "هو الاسم الذي ذكر في الكلام"¹ وكذلك يطلق عليه الاسم الصريح أو المظهر. لما كان الإظهار في موطن الإضمار هو ذكر الاسم بدل الضمير، فالأصل الإضمار بدل الإظهار؛ لذلك فإن وضع المظهر موضع المضمّر هو من الأساليب البلاغية التي تستعمل بخلاف مقتضى الظاهر²، والتي تجر الكلام إلى معانٍ أخرى وأغراض بلاغية كثيرة تناسب المقام، ويقصد إليها كل من يرجو القمة في البلاغة فمن الأغراض البلاغية عند وضع الظاهر موضع المضمّر في بيان حال صحبة الكهف في قوله تعالى: ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ٩ إذ أوى الفتية إلى الكهف ﴾ [الكهف: 9-10] إظهار كمال هؤلاء الفتية فمقتضى الظاهر يقال (إذ أوا) وذلك لأنه أشار إليهم بقوله أصحاب الكهف والرقيم، ولكنه عدل إلى الاسم الظاهر الصريح (الفتية) الذي يحمل كل ما في كلمة الفتوة من معاني تدل على إكمال الرجولة عند هؤلاء الشبان، مع سداد الرأي، وثبات الجأش عندهم؛ لذلك عبر عنهم بهذا الاسم وأظهره في مقام الإضمار³.

¹ -عزيزة فوال بايتي، المعجم المفصل في النحو العربي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ - 1992م)، 114/1.

² -ينظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، 700/1.

³ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 266/15.

الإظهار في مقام الإضمار ومعانيه البلاغية

1- الاستعفاف

ورد هذا الغرض من إقامة الاسم الظاهر في مقام المضمرة في حوار إخوة نبي الله يوسف حين هموا بقتله حيث ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿أَفْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ﴾ [يوسف: 9] ثم قال الآخر ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [يوسف: 10] وحق الجملة أن يقول (لا تقتلوه)، وذلك باستعمال الضمير العائد على نبي الله يوسف، والذي ذكر في الجملة قبلها؛ ولكن مجيء الاسم الظاهر في هذا المقام بدل الإضمار للدلالة على استجلاب شفقتهم واستعفافهم¹، بذكر اسمه لعلهم ينتهون عما هموا به من فعل السوء.

2- التأكيد

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: 76] وكان حق العبارة في غير القرآن أن تكون ثم استخرجها من (وعائه)²؛ وذلك لأنه سبق وإن أشار إلى أخيه، ولكن الغرض من ذلك التأكيد على أنّ المراد بذلك بنيامين، وأنّ الأمر قد تم كما أراد نبي الله يوسف وكما خطط له، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ جَزُؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [يوسف: 75] حيث أقام الاسم الظاهر (الظالمين) مقام الضمير³، كون العبارة تكون كذلك نجزيه بالضمير بدل

¹ - ينظر: الألوسي، روح المعاني، 384/6، و أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 4/ 256.

² - ينظر: الهرري، حقائق الروح والريحان، 82/14.

³ - ينظر: الزمخشري، الكشاف، 491/2.

الاسم الظاهر، وهذا فيه مزيد تأكيد على الظلم الذي وقع من إخوة نبي الله يوسف حين سرقوه من أبيه وأحدثوا له ما أحدثوا من العناء، ففيه إشارة لظلمهم إياه.

3- التشكيك

وقد ورد هذا الغرض في إقامة الاسم الظاهر في مقام المضمّر وذلك في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88] حيث إنّ حق العبارة أن يأتي مقام الاسم المظهر وهو (المتصدقين) أن يقال إن الله (يجزيك) بالضمير، ولكن إقامة الاسم الظاهر هنا للدلالة على التشكيك في إيمان من يخاطبونه، وهو نبي الله يوسف، أو هو مندوحة عن الكذب من باب المعارض¹ حيث إنهم لم يعلموا بإيمانه²؛ بل كانوا يتصورون كفره على عادة المشاع في تلك الديار، وهو الكفر وعدم الصلة بالله لذلك خاطبوه بما هو معهود على تلك البلدان من ديانة أهلها فخاطبوه بعبارة مطلقة .

4- التعظيم

وقد ورد هذا الغرض في قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ [يوسف: 90] حين كان يحاور إخوته بعد أن سألوه؟: ﴿أَوَتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: 90] ولكن جاء التعبير باستعمال الاسم الظاهر (يوسف) ولم يقل أنا هو؛ وذلك لإظهار عظيم ما نزل به من ظلم إخوته وكذلك لإظهار عظيم تعويض الله له بنصرته إياه بما أعطاه من الملك والحفظ والإعانة، حيث أراد أن يقول لهم نعم أنا

¹- ينظر: الألوسي، روح المعاني، 7/ 45.

²- ينظر: البغوي، معالم التنزيل، 511/2.

يوسف الذي أردتم قتله، وأنا يوسف الذي رميته في البئر ثم فعلتم ما فعلتم به، فهذا أنا ذا كما ترون ما عوضني الله به من الملك، كل هذه المعاني العظيمة تقع تحت هذا الاسم وإظهاره مقام الضمير¹.

5- تعدد الصفات

ورد هذا الغرض في حوار نبي الله يوسف حين عرّف إخوته بنفسه وبين لهم أنّ الخير في سلوك سبيل التقوى والصبر حيث قال لهم: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: 90] وحق العبارة أن يقول: فإن الله لا يضيع (أجرهم) ولكن إقامة الاسم الظاهر هنا للدلالة على تعدد الصفات²؛ بحيث يصير المعنى إن الله لا يضيع اجر المحسنين والمتقين والصابرين، وللدلالة على أن من صبر واتفق فهو من المحسنين.

6- إظهار الضراعة والتوسل

ورد الاسم الظاهر في مقام المضمّر متضمنا هذا الغرض في حوار الإخوة أصحاب الجنة وذلك في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ [القلم: 32] وذلك بتكرير اسم الرب جل في علاه، حيث لم يقولوا إنا (إليه) راغبون؛ بل أظهروا الاسم الصريح مع إضافته إلى ضميرهم؛ وذلك لما فيه من إظهار الضراعة والتوسل لله تعالى، وإظهار حاجتهم إليه كونهم مربوبين له سبحانه، عسى أن يغفر

¹- بتصرف: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 462/2، و الهري، حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، 96/14.

²- ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 4/304.

لهم ما فعلوه، ويعوضهم ما فقدوه من جنتهم؛ لذلك نادوه باسم الربوبية والتي من مقتضياتها الرحمة¹، استثناساً وتلذذاً بذكر اسمه المحبوب ففي ذلك دلالة على التوسل وإظهار الضراعة.

المطلب الثاني: الإضممار في مقام الإظهار

المضممر هو: "ما تُرك ذكره من اللفظ وهو مُراد بالتيّة"²، أو هو عبارة عن اسم يتضمن الإشارة إلى المتكلم أو المخاطب إما تحقيقاً أو تقديراً³.

إقامة المضممر في مقام المظهر يكون ذلك عبر ذكر ضمير الغائب، ثم يُفسّر بمتأخر عنه؛ وذلك لغرض بلاغي وهو الإيضاح الذي يكون بعد الإيهام، أو التفصيل الذي يأتي بعد الإجمال؛ وذلك لكي يتمكن المعنى ويستقر في ذهن السامع، ويتثبت في عقله ونفسه، ويكون عن طريق ضمير الشأن والقصة⁴، وعندما يأتي هذا الأسلوب تجد مذاقاً حسناً وموقعاً جليلاً؛ وذلك بسبب أن الضمير حيث لا يكون له عائد يرجع عليه يصيره إلى وضع فيه الغموض والإبهام، فعندها تستشرف النفس إلى اكتشاف الحقيقة⁵ وراء هذا الغموض؛ وذلك بأن تأتي الجملة التي بعده تفسر المعنى وتوقعه في القلب موقع القبول، و يأتي هذا الأسلوب غالباً في المعاني العظيمة التي تهيم النفوس لتتلقاها ومن المواقع الجليلة والتي غالباً ما يستشهد بها البلاغيون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] فذكر ضمير الشأن (هو) أي

¹-ينظر: محمود عبد الجليل روزن، الإظهار في مقام الإضممار في القرآن أسماء الله أممذج، مركز تفسير للدراسات القرآنية، 173.

²-أيوب بن موسى الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998م)، 384.

³-علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ-1983م)، 217.

⁴-ينظر: يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، شرح المفصل، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ-2001م)، 335/2.

⁵-ينظر: ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، 264/1.

إن الشأن المعظم والذي يجب أن يفطن له كل ذي عقل هو: ﴿اللَّهُ أَصَمُّ﴾ [الإخلاص: 2] وتفسيره بالجملة التي بعده ولو جاءت الآية من دون هذا الضمير لما وجد هذا الأثر في الكلام وهذه التهيئة تؤذن بأن ما سيأتي بعده كلام له شأن عظيم¹.

وقد ورد في آيات حوار الإخوة والأصحاب هذا الأسلوب والذي يكشف عن معانٍ جليلة جاءت مفسرة لضمير الشأن؛ حيث إن وروده كان في مواطن فاصلة في الحوار

1- فمن ذلك ما ورد في حوار نبي الله يوسف مع إخوته: ﴿إِنَّهُ، مِنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90] فالضمير في (إنه) ضمير شأن أي إن الشأن² والأمر العظيم الذي يكون معظما عند أصحاب العقول هو تحقيق التقوى والصبر، والسر البلاغي في هذا التعبير هو تفصيل الإجمال وبيان الإبهام الواقع بسبب مجيء هذا الضمير، و الجملة التي بعده تفسره فيكون ضمير الشأن هو بمثابة أداة تدفع المرء إلى التنبه والاصغاء، فإذا جاءت الجملة التي بعده استقر المعنى في النفس وثبت في القلب، وفي هذه الآية دأب النبي الناصح والأخ الصالح الذي لا يزال يستغل كل موقف من أجل أن يغرس الخير والتعليم والإصلاح في نفوس إخوته أو صحبه ومنها هذا الموقف حيث بين لهم سبب ما هو فيه من الخير.

2- ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى على لسان إخوة نبي الله يوسف: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ [يوسف: 91] أي وإن الشأن الكبير الذي كنا عليه في كوننا متعمدين للذنب، فضمير الشأن³ هنا قد أظهر وهياً النفس

¹- ينظر: يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة، 76/2.

²- ينظر: الألوسي، روح المعاني، 47/7.

³ ينظر: المصدر السابق نفسه، 48/7.

لتلقي بيان اعترافهم بخطأهم؛ وذلك لأجل الاعتذار وفيه تظهر روعة بيان القرآن باستعمال الإضمار في مقام الإظهار في حوار الإخوة، وكل ذلك دلالة على عظيم ما حدث، فمجيء الإضمار هنا مقابل الإضمار الذي جاء في حوار نبي الله يوسف في الآية السابقة، والتي جرى الكلام عليها في النقطة السابقة، فيه موافقة عجيبة وروعة بيانية كبيرة تدل على عظيم المواقف والأحداث التي جرت؛ لذلك تم تفسير ضمير الشأن بالجملة التي بعده.

3- ومن مواطن الإضمار في مقام الإظهار ما ورد في حوار أصحاب الجنتين في سورة الكهف وذلك في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: 38] فضمير الشأن (هو) جاء لتبنيه السامع إلى تأكيد ما سيلقي عليه من الخبر وهو مخالفة صاحبه بما عليه من اعتقاد¹، حيث أظهر وأكد له إيمانه بالله، وقد اشتملت الجملة على عدة أساليب ومؤكدات كلها جاءت مفسره لضمير الشأن الذي قدمه في بداية الخبر.

لقد أبان أسلوب الإظهار والإضمار عن معانٍ بلاغية في حوار الإخوة والأصحاب، وكان لهذا الأسلوب حضور في الآيات التي تحدثت عن تحاورهم، وكشفت كتب التفسير عن وجود هذا الأسلوب في الآيات، حيث أشاروا له، وأظهروا الاهتمام به؛ لما يمثله من زيادة وبيان لمعاني الكلام، والتي لم تكن موجودة لولا هذا الأسلوب، فحيث وجد وجدت المعاني البلاغية التي تدل عليه، وقد كان لأسلوب الإظهار والإضمار الحضور الأكبر في حوار نبي الله يوسف وإخوته؛ وذلك لطول الحوار وتفرعه وكثرة الأحداث فيه، ثم ما فيه من دواعٍ ومعانٍ تدعو لوجود هذا الأسلوب، وأما في حوار الإخوة أصحاب البستان فلما يدعو إليه مقام التضرع الذي هم فيه، وكذلك الإضمار كان وجوده في آيات حوار للدلالة

¹-ينظر: المهري، حقائق الروح والريحان، 373/16.

على أحداث لها شأن كبير، كما هو الحال في لقاء يوسف مع إخوته، أو حديث الصحاب المؤمن عن ربه .

المبحث الثالث: القصر

لقد أخذ أسلوب القصر منهجاً خاصاً في تبيان المعاني في حوار الإخوة والأصحاب؛ لبيان مجريات التحاور بينهم وما أرادوا أن يقصروه من الكلام للدلالة على أهمية فيه ينبغي الانتباه إليها؛ لذلك لا بد من الوقوف على هذا الأسلوب من خلال طرقه التي يأتي من خلالها لمعرفة المعاني التي تحملها تلك الحوارات بين الإخوة والأصحاب، لاسيما وأنّ هذا الأسلوب قد تعددت فيه الطرق الدالة عليه وهو من أفانين علم المعاني حيث لم يكن على طريق واحد يسأم السامع منه .

تعريف القصر وأنواعه

القصر هو: "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"¹، وقد ورد أسلوب القصر بشكل ملفت للنظر في آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب، حتى كأنه أكثر الأساليب وروداً في آيات الحوار بعد الأساليب الخبرية والإنشائية، وكان وروده في آيات الحوار لأكثر من أربع عشرة مرة، متفرقاً بين حوار الإخوة والأصحاب، وقد كان لحوار الأصحاب النصيب الأكبر من هذا العدد، وقد ورد القصر في آيات الحوار بنوعية الحقيقي والمجازي، ومن أكثر طرق القصر وروداً هو طريق القصر بالنفي والاستثناء، وكان لحوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن هو النصيب الأكبر، وفيما يلي تفصيل ذلك.

¹-الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، 212/2.

المطلب الأول: القصر بالنفي والاستثناء

الخبر بالنفي والإثبات بهذه الصيغة: "ما هذا إلا كذا وإن هذا إلا كذا فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه"¹ ثم يثبت غيره.

وقد كثر القصر بالنفي والاستثناء في آيات الحوار ولعل السبب في ورود القصر بهذه الطريقة دون غيرها من طرق القصر؛ وذلك لأن الحوارات مبنية عادة على النقاش والجدال يسعى كل طرف لإقناع الطرف الآخر، وهذا يعني أن كل طرف ينكر ما يدعيه الطرف الآخر، وهذا الأمر مشاهد في آيات الحوار التي سيجري ذكرها وكذلك لاشتمال جمل الحوار على التعليم والإرشاد وهذا يقتضي إبطال أمر وإثبات أمر آخر.

1- ورد القصر بالنفي والاستثناء في حوار امرأة العزيز مع صويحباتها؛ وذلك حين سمعت بمقاتلتهن فيها بشأن يوسف فقد أخرجته هنّ لتريهنّ إياه، فلما شاهدته قلن متعجبات! ﴿ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم﴾ [يوسف: 31] فقد نفين أنه من البشر لحسنه وجماله فائلات هذا ملك، لاستبعادهن هذا الحسن والجمال في البشر، فقصرنه على الملكية مع العلم أنهن يعلمن بشريته، وهذا القصر إضافي مبالغة بإظهار تعجبهن من جماله، وقد أثر التعبير هنا بالنفي والاستثناء ﴿إن هذا﴾ أي ما هذا ف (إن) هنا نافية إلا ملك إنكارا لبشريته وتشبيها له بالملائكة، وكان قد ترسخ في الفطرة البشرية شدة جمال الملائكة وتميزهم عن غيرهم²؛ لذلك استعمل أسلوب القصر في هذا الموضع الذي شاهدنا فيه الجمال الذي ناسب تلك الصورة المطبوعة في الفطرة والنفس البشرية، والقصر هنا قصر موصوف على صفة فقد قصرن

¹- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 332/1.

²- ينظر ابو السعود، إرشاد العقل السليم، 272/4.

يوسف على الملكية، وذلك عن طريق القصر بالنفي والاستثناء، والذي غالباً ما يستعمل في الكلام عندما ينكر المتكلم الحكم ويجحده ثم يثبت غيره، وقد ورد في حوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن في عدة مواضع جاء فيها أسلوب القصر، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ [يوسف: 37] وهذا الاستثناء مفرغ فقد جاء في هذه الآية أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، وكان نبي الله يوسف يخبرهم بنوع الطعام قبل أن يأتيهم¹، وذلك مما علمه ربه، واستعمل في هذا أسلوب القصر .

2- وورد هذا النوع من القصر في حوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن؛ وذلك عند دعوتهم وتبيين مسائل الإيمان والعقيدة لهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: 40] والقصر هنا قصر حقيقي وهو "إثبات شيء لشيء وسلبه عن جميع ما عداه"² أي اختصاص المقصور بالمقصور عليه على الحقيقة والواقع وأن لا يتعداه لغيره، من باب قصر صفة على موصوف فقد قصر صفة الحكم على الله جل في علاه وعز سلطانه، فالقاعدة البلاغية التي يدل معناها على القصر بما تحمله مدلولاتها قد تحقق في هذا الموضوع؛ وذلك كون المتحكم بهذه الصفة هو الله وحده، وسر استعمال أسلوب القصر في هذا الموضوع هو تحقيق إيصال هذه العقيدة إلى قلوب هؤلاء الصحبة في السجن ومن ثم الوصول إلى تحقيق العبودية لله؛ لذلك أخبرهم بعدها بقوله: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ وهو قصر صفة على موصوف، حيث قصر العبادة على الله جل في علاه وقد اشتمل هذا الحوار الجاري بين نبي الله

¹-ينظر: الزمخشري، الكشاف، 470/2.

²-عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، 534/1.

يوسف وصحبة السجن على معلم من معالم الدعوة إلى الله، وهو تقرير مسائل الإيمان والعقيدة أولاً في القلوب، وهو من فقه الأنبياء في باب الدعوة، ومنهج القرآن، دل عليه أسلوب القصر في هذه المواضع.

3- ورد في حوار فتى موسى وهو يوشع بن ذي النون وذلك حين أمره نبي الله موسى بإحضار الطعام بعد أن مسهم الجوع والنصب، وكان يوشع نسي أن يقص ما حدث من مشاهدته للحوت وهو يدخل إلى الماء بصورة عجيبة¹، فقال له: ﴿وما أنسنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذْكُرَهُ﴾ [الكهف: 63] مستعملاً بذلك أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، حيث نسب ما حدث من النسيان إلى الشيطان بإحداثه للوسوسة، فالقصر هنا إضافي؛ والقصر الإضافي: "وهو ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين²، وذلك لأنه قصرها على الشيطان من دون أي سبب آخر من نسيان أو إهمال أو غير ذلك، فضلاً عن أن ينسبها إلى الله؛ وذلك لكونه هو سبحانه المقدر لهذا النسيان ولكن القصر هنا أضيف للشيطان³ على سبيل القصر الإضافي عن طريق قصر الصفة على الموصوف فالصفة هنا هي النسيان أو الإنساء، والموصوف هو الشيطان، وقصر الصفة هنا عليه قصرًا إضافيًا؛ وذلك لأنه شاهد أمرًا عظيمًا لا يمكن أن ينسى مثله .

4- وورد في حوار المؤمن مع صاحب الجنتين في قوله تعالى: ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ [الكهف: 39] حيث أرشده إلى ما يحافظ به على جنته ويشكر به نعمة ربه، كون ما حصل له من النعم هو من فضل الله الذي أمدّه بهذا الفضل، والذي منه الحول والقوة على مزاولته النعم حيث قصر صفة الحول والقوة على الله، من باب قصر الصفة على الموصوف، وقصر الصفة على الموصوف: وهو ألا تتجاوز تلك

¹- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 158/5.

²- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)، 152.

³- ينظر: الأوسى، روح المعاني، 300/8.

الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر لكن يجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات آخر¹، وهو سبحانه وتعالى مختص بصفة القوة وهو من يهبها لعبادة، ففي هذه الجملة وهذا الأسلوب ما يدل على كمال علم هذا الرجل وعدم اعتزازه بالأشياء، بل ينسبها إلى من بيده القوة أو من تأتي القوة من عنده وبه، سبحانه وحمده، وكان هذا الصاحب المؤمن قابل عجب صاحب الجنتين بجنتيه واعتداده بنفسه، قابله باعتماده على الله واعتصامه به²، ثم وجهه إلى ربه الذي به تدوم النعم وتكمل الأحوال، وهذا معلم من معالم الصحبة الصالحة في دلالتها على الله سبحانه .

5- و ورد ذلك في حوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن؛ حين أراد أن يبين لهم حقيقة الآلهة التي يعبدونها وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ ﴾ [يوسف: 40] "أيّ إلهٍ فارغةٌ سمّيتُها ولا مُسمّياتٍ لها"³، فقد أخبرهم بذلك عن طريق قصر موصوف على صفة، وقصر الموصوف على الصفة: "وهو ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى، لكن يجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر"⁴ فالموصوف هو الآلهة، والصفة هي الأسماء، والإخبار عن ذلك بأسلوب القصر غاية في الدقة والتبيين عن حقيقة أمر معظم في نفوسهم وله تعلق كبير بها؛ لذلك جاء الغرض البلاغي من استعمال أسلوب القصر هنا هو تهوين وتحقير الآلهة التي يعبدونها حيث كون حقيقتها عبارة عن أسماء لا غير، تخلوا من النفع والضرر ومن كل صفة تؤهلها لأن تعبد.

¹ - الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، 216/2.

² - ينظر: الهرري، حدائق الروح والريحان، 375/16.

³ - محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414 هـ)، 33/3.

⁴ - الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، 216/2.

المطلب الثاني: القصر بإنما

وتستعمل إنما للدلالة على القصر؛ وذلك لكونها تتضمن معنى ما وإلا، وتأتي لكي تفيد قصر الأفراد أو القلب، وتستعمل كذلك لقصر الصفة على الموصوف أو الموصف على الصفة¹.

وقد ورد القصر بإنما في موضع واحد في حوار الإخوة والأصحاب، وذلك في حوار هابيل مع أخيه قابيل حينما هم الأخير بقتل أخيه وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 27] وحاصل الأمر أنّ كلاً من قابيل وهابيل قدما قربانا لله تعالى فتقبل الله قربان هابيل والذي عمد إلى أحسن غنمه فأخرج منه كبشاً، وأما قابيل فلم يفعل ذلك وكان صاحب زرع فلم يخرج أفضل ما عنده، فلم يتقبل الله قربانه، فأضمر في نفسه على أخيه الحسد وهم بقتله وأخبره بذلك²، فأجابه هابيل بهذه الجملة والتي تدل على القصر أي قصر قبول الأعمال على المتقين، فإن تحصلت التقوى كان العمل مقبولاً، وإن لم تتحصل كان العمل مرفوضاً، فكأنه يقول له أنت لم تتق الله فيما أخرجت من القربان لذلك لم يقبل منك، وذلك لأن التقوى شرط في قبول الأعمال³.

ومن هنا نلمح جمال أسلوب القصر بالأداة (إنما) ومجيئها في مقدمة الكلام؛ وذلك تمهيداً لما بعده حتى يسترعي الانتباه ويجذب الفكر، وهذه إحدى غايات أسلوب القصر، والقصر هنا قصر أفراد المعروف بكونه يقطع " الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف، أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف

¹- ينظر، السكاكي، مفتاح العلوم، 291.

²- بتصرف: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 123/2.

³- ينظر: الزمخشري، الكشاف، 624/1، و الرازي، مفاتيح الغيب، 338/11.

بالصفة¹ حيث كان يظن الأخ القاتل أن القربان يجب أن يتقبل منه أيضاً فجاء القصر هنا للدلالة على الأفراد بأن القبول يكون مقصوراً على المتقي فقط.

ويتميز القصر بإنما عن باقي أدوات القصر سواء النفي أو الاستثناء أو غيرها؛ أن القصر بهذه الأداة يحمل معانٍ أخرى، غير مجرد القصر، ومن ذلك التعريض وهذا الأمر لا يوجد في غيرها، وقد نبه عبد القاهر الجرجاني على هذا الأمر عند ذكر الفرق بين طرق القصر، بأن القصر (إنما) مما يقع فيه التعريض² وهو من مواقعها البليغة، وقد ذكر أهل التفسير في معرض الحديث عن هذه الآية وتفصيلها أن في هذه الآية تعريض بالقاتل قابيل، من قبل أخيه هابيل أخرجه هذا المخرج لعدم تهيجه³، وهذا من أسرار البيان الإلهي في مجيء القصر بإنما دون غيرها في هذا الموضوع؛ وذلك لبيان جميع ما سبق وهذا مما يحتمله القصر بهذه الأداة.

المطلب الثالث: القصر بالتقديم

للتقديم دلالات بلاغية كثيرة منها القصر ومن صورته تقديم المسند إليه الذي حقه التأخير⁴، وقد ورد في حوار الإخوة أصحاب البستان هذا القصر وذلك في تحاورهم، حين وجدوا جنتهم محترقة، بعد أن هموا بمنع المساكين منها، وذلك في قولهم: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۖ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: 66-67] فإنهم أردوا بتقديم المسند إليه ضمير الفصل (نحن) "فلما أُبْرِز الضَّمِيرُ وَقُدِّمَ كَانَ تَقْدِيمُهُ مُؤَدِّئًا بِمَعْنَى الْأَخْتِصَاصِ، أَيِ

¹ - عبد المتعال الصعدي، كتاب بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، 224/2.

² - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 355,354/1.

³ - ينظر: سراج الدين عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ).

١٩٩٨ م)، 287/7، والآلوسي، روح المعاني، 3/٢٨٣.

⁴ - ينظر: الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، 261/2.

القَصْرِ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَائِيٌّ¹ والذي الأصل فيه أن يأتي مستتراً فيما بعده، فإظهاره وتقديمه جاء للدلالة على قصر الحرمان عليهم بأنهم هم المحرمون الذين حرموا خير بستانهم، وخير الأخرة فأرادوا قصر الحرمان عليهم دون المساكين الذين هموا بقطع الصدقة عليهم، وهو من باب القصر الإضائي عن طريق التقديم. ومن طرق القصر بالتقديم، تقديم الجار والمجرور المتعلق بالفعل على الفاعل، وقد ورد ذلك في حوار إخوة نبي الله يوسف حين همّ أحدهم على البقاء في أرض مصر مع أخيه بنيامين حتى يأذن له أبوه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: 80] فقد قدم الجار والمجرور في قوله: ﴿لِي﴾ والمراد منه نفسه على الفاعل ومعطي الإذن ﴿أبي﴾ فالتقديم هنا يفيد قصر الإذن عليه وله، و"قدم المجرور لأنه المقصود لا مطلق الإذن"².

المطلب الرابع: القصر بضمير الفصل

وهو أن يأتي بعد المسند إليه ضمير فصل، مهمته أن يجعل المسند مختصاً بالمسند إليه، وكذلك تأكيد نسبة الخبر للمبتدأ³، وقد ورد ذلك في حوار نبي الله يوسف مع أخيه بنيامين حينما اجتمعا، وكان قد جرت بينهما محاورة ذكرها أهل التفسير⁴ مفادها أن بنيامين قال ليوسف: كان لي أخ وقد هلك فقال له يوسف ألا ترضى أن أكون مكان اخيك الهالك؟ فقال له بنيامين: إني لأرجوا ذلك، ولكن ليست أمك راحيل ولا أبوك يعقوب، حينها أخبره يوسف بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَحْوَكُ﴾ [يوسف: 69] فأكد له الجملة بإن وبالجملة الاسمية وضمير الفصل الذي أفاد القصر هنا وهو تصور أن نبي الله يوسف أجنبي عنه وليس ثمة

¹ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 86/29.

² - أبو العباس البسيلى التونسي، نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1429هـ - 2008 م)، 264/2.

³ - ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1394هـ - 1974م)، 339/2.

⁴ - بتصرف: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 259/4، والزمخشري، الكشاف، 489/2.

قراءة بينهما، ولكنه قلب تصوره هذا واعتقاده بطريقة أسلوب قصر القلب؛ والذي هو " الغرض منه قلب ما عند المخاطب"¹ من تصور من خلال تقديم ضمير الفصل فأفاد القصر، وهذه الفائدة تأتي بعد هذا الأسلوب، فاختصر له الكلام الطويل في بيان أنه هو أخوه يوسف ولم يأكله الذئب ولم يكن ما ذكر عنه أو قيل بصحيح².

كان لأسلوب القصر مزايا عدة منها الإيجاز في تبين الأمور والدلالة على معاني أريد حصرها وقصرها في سياق الحوار بين الإخوة والأصحاب ومن مزايا هذا الأسلوب البلاغي ما يحتويه من ثراء في تنوع طرقه حيث لم يأت على نسق واحد، بل لكل طريق من طرقه فروق دقيقة اشتملت على ملاحظات لطيفة في جوانب الحوار كان لها الدلالة على ما أريد الإشارة إليه من خلال القصر لأهميته، وهذا ما شوهد في المبحث من أغراض المتكلم واعتبار حال المخاطب من الدلالة على القصر الحقيقي في باب الدعوة إلى الله أو تبين الحقائق كما مر في التحليل أو الإشارة إلى القصر الإضافي فيما أريد التنبيه عليه من أمور والاهتمام بها في مجريات الحوار والأحداث فيه، و القصر بالنفي والاستثناء كان من أغلب طرق القصر ورودا في آيات الحوار؛ وذلك كون الحوار بين فئتين متقاربتين يكثر الأخذ والرد بينهم، ثم أن بعض آيات الحوار كانت متضمنة للدعوة إلى الله وهذا يقتضي نفي أمور خاطئة وإثبات أخرى صحيحة؛ كما ورد في حوار يوسف مع صحبة السجن، حيث أحدث هذا التنوع جمالية بلاغية دالة على الأغراض التي أريد الإشارة إليها تارة بالقصر الحقيقي وأخرى بالقصر الإضافي وصولا لتقريره في ذهن السامع وتمكينه من

¹ -عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، 540/1.

² - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 26/13.

قلبه خاصة وأن أغلب جمل التحاور تشتمل على النصح والتعليم والتوجيه بين هذين الفئتين من الإخوة والأصحاب.

المبحث الرابع: الفصل والوصل

للفصل والوصل أثر عظيم في إحكام الربط بين عناصر الكلام بعضه ببعض وذلك في سلسلة متواصلة عن طريق الجمل والتي توصلنا إلى النص بأكمله، وتوقفنا على السر الكامن بين طيات تلك الجمل على حدٍ سواء في الفصل والوصل؛ ولذلك كان بعض العلماء يرون أن البلاغة هي معرفة الفصل والوصل، حتى قال عن ذلك حينما سئل عن حد البلاغة؟ فقال: "معرفة الفصل والوصل"¹، وهو باب دقيق المجرى لطيف المغزى عظيم المقدار جم الفوائد غزير الأسرار، وقد أشار العلماء لهذا الأمر وتنبهوا له قديماً²؛ وذلك لدقة هذا الباب، لذلك لا بد من معرفة الفوائد المستتلة من هذه القواعد في مجريات الفصل أو الوصل في جمل الحوار بين الإخوة والأصحاب والاطلاع على غزارة الأسرار الكامنة بين تلك الجمل حتى يقف المتأمل لهذه الحوارات على تلك البلاغة في هذا الباب الذي وصف بكونه ما من علم فيه دقة وغموض وصعوبة إلا ومسائل هذا العلم أدق وأصعب³.

¹ - عمرو بن بحر بن محبوب الكنايني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ، البيان والتبيين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ)، 91/1.

² - ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، 20/2.

³ - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 231/1.

المطلب الأول: الفصل ومواضعه

الفصل هو: استئناف الكلام وقطعه عما قبله وترك العطف بين الجملتين¹، ولقد اعتنى البلاغيون بمواضع الفصل بين الجمل انطلاقاً من أهمية هذا الباب البلاغي فأجملوا الفصل في قواعد نورد منها ما وقف عليه الباحث في آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب.

مواضع الفصل

أولاً: كمال الاتصال

وهو أن يكون ثمة اتفاق بين الجمل في الإنشاء والخبر، بحيث تكون الجملة الثانية بمنزلة الأولى أو جزءاً منها حتى يكون ما بينها من الاتحاد والاتصال ما يوجب الفصل وعدم العطف وذلك لما بينهما من شدة الترابط كأن تكون تأكيداً لفظياً أو معنوياً أو بدلاً²، ويكون ذلك الاتصال عن طريق الجمل الواردة، والسر البلاغي فيها هو أنها مؤكدة للمعنى نفسه وكأنها جملة واحدة، فقد ورد في حوار أصحاب الكهف في توافقه على توحيد الله وإفراده في العبادة عدة جمل، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14] نجد أن الجملة الأولى في قولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جملة خبرية وفيها اعلانهم لتوحيد ربوبية الله، ثم جاءت الجملة بعدها: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ وهي أيضاً جملة خبرية ولكنها مفصولة عن الجملة التي قبلها؛ وذلك لكونها موافقة للجملة الأولى وتأكيداً لها، فأصبحت الصلة بين الجملتين قوية فلا تحتاج إلى الواو؛ وذلك لأن التوكيد والمؤكد شيء واحد، ثم جاءت الجملة الثالثة: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ مصحوبة بلام والقسم

¹ - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 231/1، والسكاكي، مفتاح العلوم، 249.

² - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، 252، والقزويني، الايضاح في علوم البلاغة، 108/3.

وقد توكيداً لبراءتهم من عبودية غير الله¹ ولما سبق تقريره في الآيات التي قبلها، وجاءت مفصولة بغير واو؛ بسبب كونها متممة لتقرير ما ترسخ في نفوسهم من إيمان بالله عز وجل، فمضمون الجملة الثانية جاء مؤكداً لمضمون الجملة الأولى، فهو وإن كان يتضمن أمراً جديداً عن الجملة الأولى ولكنه مؤكداً للمعنى الأول؛ وهذا يدل على كمال الاتصال بين الجمل المذكورة، فهنا يكمن سر الوصل في هذه الآية والتي جاءت للافصاح عن عقيدتهم وبيان رسوخها في قلوبهم، وكذلك ما ورد في الحوار بين النسوة حينما شاهدن نبي الله يوسف فقلن: ﴿ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم﴾ [يوسف: 31] فقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى؛ وذلك لكونها توكيداً للجملة الأولى وبيان لها.

ثانياً: كمال الإنقطاع بلا إيهام

وهو أن يكون بين الجملتين اختلاف تام وانقطاع كامل، ويتم ذلك عند اختلافهما إنشاءً وخبراً في اللفظ والمعنى، أو في المعنى فقط، أو إلى فقدان المناسبة بينهما وفيه صور²

الصورة الأولى:

أن تختلف الجملتان في الخبر والإنشاء لفظاً ومعنى، ومثال ذلك ما ورد في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه في قوله تعالى: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: 40] فالجملة الأولى ﴿لا تحزن﴾ إنشائية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية ﴿إن الله معنا﴾ خبرية لفظاً ومعنى؛ لذلك فصل في هذه الآية بين الجملتين، بسبب الاختلاف في الإنشاء والخبر لفظاً ومعنى؛ ولكون هذا الفصل الجاري بينهما لايوهم خلاف المقصود، وكذلك ما ورد في حوار أصحاب السجن مع نبي الله

¹ - ينظر: سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 8/411.

² - القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، 3/105.

يوسف، حين طلبوا منه تأويل الرؤيا بقولهم: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نرُكِّ مِنْ الْمِحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:

36] فالجمله الاولى ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ إنشائية لفظاً ومعنى والجمله الثانية ﴿ إِنَّا نرُكِّ مِنْ

الْمِحْسِنِينَ ﴾ خبرية لفظاً ومعنى؛ لذلك فصل بينهما ولكون الفصل بينهما لا يسبب الإيهام بخلاف المقصود، ولكون الجملة الثانية تعليلاً للجملة الأولى¹.

الصورة الثانية :

أن تختلف الجملتان في الإنشاء والخبر، في المعنى فقط وتتفقا في اللفظ، كقولنا: (مات فلان رحمه الله)، فجملته مات فلان، خبرية لفظاً ومعنى، وجملته (رحمه الله) خبرية لفظاً، إنشائية معنى، لأنها دعاء؛ لذلك فصل بينهما للاختلاف الحاصل بين الخبر والإنشاء معنى فقط، وقد ورد ذلك في حوار الإخوة فيما ذكره الله تبارك وتعالى على لسان يوسف يوم أن صفح وعفى عن إخوته في ذلك الموقف الجميل من قوله لهم: ﴿ لا تترِيب عليكم اليوم يغفرُ اللهُ لكم ﴾ [يوسف: 92] فالجملته الأولى من قوله: ﴿ لا تترِيب

عليكم ﴾ أي لا تعبير ولا تأنيب عليكم اليوم بل العفو والصفح²، وهذه الجملة خبرية لفظاً ومعنى وقوله:

﴿ يغفرُ اللهُ لكم ﴾ خبرية لفظاً، إنشائية معنى؛ فهي دعاء من نبي الله يوسف لإخوته فوق صفحه وعفوه

عنهم، فقد فصل بين الجملتين لهذا الاختلاف الحاصل بين الجملتين خبراً وإنشاءً معنى فقط، وفي هذه

الآية بيان لكمال صور الإخوة التي حملها نبي الله يوسف لإخوته بيّنها المولى في كتابه، يدعو عباده إلى

الاقتداء والامتثال بها .

¹ - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 270/12.

² - ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 247/16.

ثالثاً: شبه كمال الاتصال أو الاستئناف البياني

وهو أن يكون في الجملة الأولى متضمن لسؤال يكون الجواب عنه في الجملة الثانية وهذه الجملة يكون الارتباط فيها ارتباطاً وثيقاً مثل الارتباط بين الجواب والسؤال¹، لذلك يترك العطف بينهما؛ لأن جواب السؤال لا يعطف عليه بسبب الترابط الوثيق والصلة القوية بينهما، ومثال ذلك ما وقع في الحوار بين صويحبات امرأة العزيز في حديثهن عنها وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَىٰ عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُلْهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: 30] ففي الجملة: ﴿ تُرْوَدُ فَتَلْهَىٰ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ قد أثير فيها سؤال عن السبب في تلك المرادة وهو أشبه بالسؤال عن الأسباب العامة التي أثارت هذه المرادة؛ لذلك جاء الجواب في الجملة المستأنفة² التي بعدها وهو: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ وهذا الجواب أيضاً أثير فيه سؤال آخر مضمونة: وما تقلن في هذا الأمر؟ فأجبن: ﴿ إِنَّا لَنَرُلْهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ والملاحظ في هذا التساؤل ليس السبب هو المقصود وإنما هو لطلب الرأي في الأمر الذي أحدثته امرأة العزيز من مرادتها للفتى بسبب حبها له، فالارتباط بين الجمل، والصلة الوثيقة بينهما أدى لترك الوصل أو العطف بين جمل التحوار هذه؛ والاستئناف البياني هنا جاء ليوضح وليبين الجواب عن السؤال المنبعث من تلك الجملة³ الأولى فالجمل هنا ليست منفصلة عن بعضها في الواقع وليس فيها انقطاع؛ وذلك لأنها مبينة ومفسرة لأمر فيها، فسميت الجملة الثانية مستأنفة بيانياً، وقد ورد الفصل في جمل الحوار بين نبي الله يوسف وإخوته وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: 77] فجملة: ﴿ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ فصلت عن التي قبلها؛ وذلك

¹-ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 235/1، السكاكي، مفتاح العلوم، 252.

²-ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 78/11.

³- ينظر: بسويوني عبدالفتاح فيود، علم المعاني، (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر، 1436هـ- 2015م)، 161/2.

لا ارتباطها بسؤال يثار بعد قول إخوته بتهمته بالسرقة، فكان قائلاً يقول: ماذا قال يوسف حينما سمع قولهم، فكان الجواب بأنهم شر مما يقولون؛ وذلك لسرقتهم إياه من أبيه¹، وفصل الجواب عن التساؤل المثار لشبهه كمال الاتصال لما بين الجملتين من صلة قوية، ويرجع السر البلاغي في هذا الأسلوب إلى ما تركه في ذهن المخاطب من حسن موقع، فالسؤال الذي انبعث من الجملة الأولى قد ترك في ذهن المتكلم أن المخاطب ينتظر جواباً عن هذا السؤال أو بياناً له، فعندما يحضر هذا البيان يترك في النفس أو يقع في نفس السامع أحسن موقع وأجمله؛ وقد أشار لذلك صاحب المفتاح في بيان السر البلاغي لهذا الأسلوب "وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إلا لجهات لطيفة؛ إما لتنبية السامع على موقعه، أو لإغناؤه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ"².

رابعاً: كمال الانقطاع

وهو أن تسبق الجملة المفصولة جملتان بحيث يصح وصل هذه الجملة بالأولى من تلك الجملتين بسبب وجود المناسبة التي سوغت هذا الوصل، ولا يصح عطف هذه الجملة على الجملة الثانية فيترك الوصل دفعاً لتوهم العطف على الجملة الثانية فتصبح الجملة المفصولة الثالثة بمنزلة الانقطاع عن الأولى بسبب هذا الحائل، والقطع هنا احتياطاً³، وقد ورد في حوار نبي الله موسى مع الخضر، وذلك في أثناء مجريات الحوار في رحلتهم والتي كان أولها خرق السفينة في قوله تعالى: ﴿ قال أخرجتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا ٧١ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ٧٢ قال لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ [الكهف: 71-73] فقد

¹ - ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، 299/4.

² - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، 252.

³ - القزويني، الإيضاح، 177/3.

فصل الجملة في قوله تعالى: ﴿قال لا تُؤاخِذيني﴾ وهي من مقول نبي الله موسى معبراً بها عن نسيان العهد بعدم السؤال إلا بعد أن يبين له الخضر ما حدث¹، ففصلت عن الجملة الأولى في قوله تعالى: ﴿قال أحرقتها﴾ والتي هي أيضاً من قول نبي الله موسى منكرأً بها ما حدث، وهذا الفصل دفعاً لتوهم أن هذا القول من مقول الخضر الذي توسط الجمل التي قالها نبي الله موسى، مع أن الوصل عند البلاغيين في مثل هذا المقام جائز²، ولكن الفصل هنا عندهم احتياطاً.

خامساً: التوسط بين الكمالين

وهو أن يكون حكم الجملة الأولى مختلفاً عن حكم الجملة الثانية؛ وذلك باختلاف القائل، مع وجود المانع من العطف، وهو عدم الاشتراك في الحكم حتى لا ينسب القول الثاني للأول أو الفصل في عدم الإشراف في القيد فحكمه واجب الفصل³.

حيث ورد في آيات الحوار مثال على ذلك في قوله تعالى: ﴿قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من الممتقين﴾ [المائدة: 27] وذلك في قصة حوار ابني آدم فالجملة الأولى هي من مقول الأخ القاتل والجملة الثانية هي من مقول الثاني المقتول، ففصلت الجملة الثانية ﴿قال إنما يتقبل الله من الممتقين﴾ عن الجملة الأولى؛ وذلك لعدم الاشتراك في حكم الجملة التي قبلها، والقطع هنا واجب عند البلاغيين، وليس احتياطاً وذلك لأن الجملة التي قبل هذه الجملتين ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ وهي من قص الله تبارك وتعالى لخبيرهما ومقدمة للحوار الحاصل بينهما؛ لذلك وجب الفصل بينهما حتى لا يتوهم أن الجملة الثانية من مقول القاتل والفصل هنا واجب؛ وذلك بسبب عدم الإشراف في القيد وقصد عدم

¹- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 20/11.

²- ينظر: الإسفرايني، كتاب الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، 13/2.

³- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، 552، والقزويني، الايضاح، 103/3.

التشريك في الحكم الإعرابي، وكذلك ما ورد في حوار نبي الله موسى مع أخيه هارون، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ [الأعراف: 150] فالجملة الأولى هي من فعل نبي الله موسى غضباً على أخيه نبي الله هارون، والجملة الثانية ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي﴾ من قول نبي الله هارون، ففصلت عن الأولى لعدم توهم أن القول صدر من نبي الله موسى، فوجب الفصل في هذا الموضوع.

المطلب الثاني: الوصل ومواضعه

الوصل هو: العطف بين الجمل¹

وقد ورد في آيات الحوار موضع التوسط بين الكمالين

"وهي أن يكون بين الجملتين التوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال وإن شئت قلت: بين الاتصال والانقطاع وذلك قسماً: أحدهما أن تتفق الجملتان خبراً لفظاً ومعنى، أو إنشاء لفظاً ومعنى أو خبراً معنى أو إنشاء معنى"².

فقد ذكروا في هذا التعريف عدة شروط في مجيء الجمل واتفاقها خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى، يجب أن يتوفر في كل نوع منها وجود المناسبة المسوغة للوصل بين هذه الجمل، ومن ثم لا يكون هناك مانع من العطف والوصل، وستعرض لها من خلال آيات الحوار وذلك للوقف على جمالية هذه القاعدة ولتتعرف على أسرار المناسبة التي جاء الوصل بسببها، في تحاور الإخوة والأصحاب.

¹- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 222.

²- السبكي، عروس الأفراح، 517/1.

أولاً: اتفاق الجملتين في الخبرية

1- ورد في تحاور إخوة نبي الله يوسف فيما بينهم وهم يعدون للمكر بني الله يوسف فيما أخبر الله عنهم: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8] فالجملة الأولى خبرية لفظاً ومعنى فهم يخبرون عن حب أبيهم ليوسف وأخيه، والجملة الثانية ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أيضاً جملة خبرية لفظاً ومعنى، فهم يخبرون أنهم جماعة بما تحمله معنى العصبية من القوة والمنعة والتأثير، ولما لم يمنع من الوصل مانع وصل بين الجملتين؛ لوجود المناسبة التي تحملها الواو المقترنة بالحال وما فيها من معنى المغايرة¹ فهي تحمل الاستقلال بمعنى آخر يحمله السياق، فالمناسبة في مجيء الوصل ما يحمله إخبارهم من أخبار أخرى جاء في طياتها الإنكار على أبيهم بسبب ما ذهب إليه من تفضيل يوسف وأخيه.

2- وفي نهاية المطاف وبيان ما من الله به على نبيه يوسف في تفضيله على إخوته وما اختصه الله به من العوض الجميل، ها هم إخوته على بابه يقولون: ﴿مَسْنَا وَأَهْلَنَا الْأَضْرُّ وَجِئْنَا بِيَضْعَةٍ مُزْجَلَةٍ﴾ [يوسف: 88] فالجملة الأولى خبرية فهم يخبرون عزيز مصر، والذي هو نبي الله يوسف بما أصابهم من الضر والجماعة، والجملة الثانية ﴿وَجِئْنَا بِيَضْعَةٍ مُزْجَلَةٍ﴾ فهي أيضاً جملة خبرية، يخبرون فيها عن حال مجيئهم وبضاعتهم، فقد وصل بين الجملتين خبريتهما ولكون المسند إليه في الجملة الأولى سبب في المسند إليه في الجملة الثانية² وهذا ما أشار إليه عبد القاهر في الدلائل³ من تغاير المسند إليه، وتسبب أحدهما في الآخر، فالضر الذي أسند إليه الخبر، مغاير للمسند إليه في الجملة الثانية والذي هو أخوة نبي الله يوسف

¹- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، (الأردن: دار الفكر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، 225/3.

²- ينظر: بسوي عبد الفتاح، علم المعاني دراسة بلاغية، 174.

³- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 225/1.

فالمجيء أسند إليه، والمناسبة في ذلك كون المسند إليه في الجملة الأولى هو من تسبب في مجيء المسند إليه في الجملة الثانية .

3- ﴿ نُزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ [المائدة: 113] الجمل كلها خبرية لفظاً ومعناً، ووصل بينهما بالواو لوجود المناسبة المسوغة للوصل لما تقتضيه الواو من المغايرة إذ إنهم أرادوا معنى مغاير عن الذي قبله في طلبهم الذي أرادوه وهذا الذي سوغ الوصل بين هذه الجمل .

ثانياً: اتفاق الجملتين في الإنشائية

1- فقد ورد في حوار نبينا صلى الله عليه وسلم مع صاحبه زيد في شأن زوجته حيث قال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 37] فالجملة الأولى إنشائية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية إنشائية أيضاً لفظاً ومعنى؛ لذلك وصل بين الجملتين فالأولى التوجيه فيها بإبقاء الزوجة، والثانية الأمر بتقوى الله، والتي من لوازمها الصبر على ما يواجهه من الأمور التي تحدث بين الزوجين، وأن يراقب الله في هذا الأمر وهو من لوازم التقوى؛ لذلك وجدت المناسبة المسوغة لمجيء الوصل بين هاتين الجملتين، فجاء الوصل بينهما.

2- كذلك ما ورد في حوار أصحاب الكهف: ﴿وَلِيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19] فالجملة الأولى إنشائية لفظاً ومعنى والجملة الثانية ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ إنشائية لفظاً ومعنى، ولذلك وصل بينهما وفي هذا الوصل سر لطيف حيث أن الواو تقتضي المغايرة كما تقدم حيث أنهم بالغوا في نصح من أرشدوه لئلا يقع فيما يخافون منه .

3- وكذلك ما ورد في قوله تعالى على لسان يوسف حينما أرسل القميص لأبيه: ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف: 93] فالجملتان الأولى: ﴿ أَذْهَبُوا ﴾ إنشائية لفظاً ومعنى وجملتان: ﴿ وَأْتُونِي ﴾ كذلك إنشائية لفظاً ومعنى؛ لذلك تم الوصل بين الجملتين لاتفاقهما في الإنشائية لفظاً ومعنى.

ثالثاً: اتفاق الجمل في المعنى

ومما اتفقت فيه الجملتان في المعنى ما ورد في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف: 9] فالجملتان الأولى: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾، جملة إنشائية لفظاً ومعنى، والجملتان الثانية الموصولة بها ﴿ وَتَكُونُوا ﴾ فالجملة خبرية معنى إنشائية لفظاً، فالمراد منها الأمر كذلك فإنه كما وجههم بأن يقتلوا يوسف، وجههم كذلك بأن يتوبوا بعد فعلتهم، وكأنه يقول: وتوبوا من بعد فعلتكم هذه¹، قياساً على توجيهه الأول، أو حققوا مقتضيات التوبة، وعلى هذا أصبح الاتفاق بين الجملتين في الإنشائية معنى لا لفظاً؛ لذلك عُدت هذه الجملتان من باب التوسط بين الكمالين، للاتفاق الحاصل بينهما مع وجود المناسبة المسوغة لهذا الوصل، وهي أنهم لما كانوا أبناء نبي يعلمون أن مثل هذا الفعل العظيم لا بد له من توبة فهم أضمرُوا التوبة قبل الفعل تسهياً على أنفسهم وجرأً لها لأن تفعل ما أرادوه.

¹- ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 514/2.

المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب

المطلب الأول: الإيجاز

الإيجاز: "هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط"¹ ولما كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال فقد يقتضي الحال في بعض المواطن الإيجاز في القول، واختصار الكلمات، وحينها تكون البلاغة أن يوجز ويختصر المتكلم كلامه؛ ولذلك يعد بعض العرب أن الإيجاز هو البلاغة² وينقسم الإيجاز إلى نوعين: إيجاز قصر وإيجاز حذف

1- إيجاز القصر: وهو "تقليل الألفاظ وتكثير المعاني"³ وهو أن تضمن الجمل القليلة والعبارات القصيرة في معانٍ كثيرة؛ وذلك من غير أن يكون في تراكيب هذه الجمل ألفاظ محذوفة وقد ورد هذا النوع من البلاغة في قول وحوار نبي الله موسى مع أخيه هارون؛ وذلك بعد أن استخلفه على بني إسرائيل قبل ذهابه لميقات ربه وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: 142]، "وقد جمع له في وصيته ملاك السياسة"⁴ فقد وجهه لقضية الإصلاح وما يحمل هذا الأمر من معاني تشتمل على ما تقتضيه كلمة الإصلاح من معاني داخلية تحت هذا الأمر من الرفق⁵ بهم وحملهم على مافيه خير لهم، والإصلاح المأمور به في هذا المقام هو جعل الإصلاح لازماً لجميع أحوال من جُعل عليهم خليفة بحيث مواصلة الإصلاح قائمة على أن يحمل قومه على طاعة الله عز وجل وعبادته إذ منشأ كل صلاح من لزوم طاعة الله ثم يصلحهم بحسن سياستهم

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، 277.

² - ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 17/1.

³ - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري، الصناعتين، (بيروت: المكتبة العنصرية، 1941هـ)، 175 .

⁴ - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 87/9.

⁵ - ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 151/2.

وبالعدل فيما بينهم وكل هذه المعاني انطوت وأوجزت في قوله تعالى: ﴿وأصلح﴾ ثم وجهه إلى أمر آخر مما يقتضيه الإصلاح وهو قوله: ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ وينطوي تحت هذه الوصية الثانية جملة من الأمور التي أراد أن ينهأ عنها، أوجزها في هذه الجملة إذ الأمر هنا يشتمل على تعطيل كل ما فيه فساد وتقليل له وذلك عن طريق النهي عن ثلاث مراتب قد يؤول أمرها إلى الفساد وهو عمل المفسد المعروف فساداً وكل عمل قد يصدر من المفسد وإن لم يكن معتاداً ثم اجتناب كل اقتراب أو مخالفه من المفسد¹، فكل هذه المعاني قد أوجزت في هذه الوصية بحيث لو لم يكن أسلوب الإيجاز حاضراً لطلال المقام بالوصية ولهذا السبب امتدح علماء البلاغة هذا الأسلوب وعدوه واعتبروه البلاغة بحد ذاتها حيث ظهر هذا الأمر في هذا الحوار الموجز بوصيته ونصيحته لأخيه من دون إطالة أو إطناب.

2- ورد الإيجاز بالقصر في حوار الإخوة أصحاب الجنة في تحاورهم وتصوير موقفهم بعد أن وقفوا ووجدوها قد احترقت، عقوبة من الله لهم على همهم بأن يمنعوا منها المساكين حيث صور لنا المولى تحاورهم فقال: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلومون﴾ [القلم: 30] هكذا بإيجاز قصر تنطوي تحته جمل من التقرير والعتب، حيث أخذ بعضهم يشير إلى بعض، أنه سبب في هذا الحاصل، فكل واحد منهم يقول للآخر أنت السبب في تخويفنا من الفقر، والآخر يقول بل أنت الذي رغبتنا بجمع، المال والحرص عليه² وغيرها من الجمل التي طويت تحت هذا التلاوم "الواقع بينهم بهذا الإجمال البالغ غاية الإيجاز"³ وهذا أثر إيجاز القصر والسر البلاغي الذي يحمله من وضع المعاني الكثيرة تحت الجمل القليلة.

¹- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 87/9.

²- بتصرف: الرازي، مفاتيح الغيب، 610/30.

³- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 87/29.

ثانياً: إيجاز الحذف

إيجاز الحذف هو: "ما يكون بحذف شيء من أصل الكلام"¹، ويكون الحذف في هذا الأسلوب إما بحذف الحرف، أو الكلمة، أو الجملة، أو جمل كثيرة، مع قرينة تدل على المحذوف²، وقد امتدح النحاة والبلاغيون هذا الأسلوب وعدوه شجاعة العربية لدلالته على قوة اللغة وتمكنها من جهة ومرونتها من جهة أخرى³، وقد ورد هذا الحذف في آيات الحوار بين الإخوة والأصحاب فيما يلي:

1- حذف الحرف

ورد حذف الحرف أو الجزء من الكلمة في آيات الحوار وذلك في حوار الخضر مع نبي الله موسى، بعد المفاصلة والفراق التي جرت بينهما وذلك عند تبين الخضر له الحكمة من خرق السفينة وقتل الغلام وإصلاح الجدار وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82] وذلك بحذف حرف التاء من كلمة ﴿تسطع﴾ الغرض من هذا الحذف هو لأجل التخفيف⁴، وهو من الأغراض المعتمدة في أسلوب الحذف، وقد ورد كذلك في حوار نبي الله هارون مع أخيه موسى ﴿قال ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني﴾ [الأعراف: 150] فقد حذف حرف النداء (يا) وحذفت كذلك ياء الإضافة، وذلك لأجل التخفيف⁵، ولعل الغرض البلاغي من الحذف هنا ما يحكيه النص حول ذلك الجو المشحون بالغضب من نبي الله موسى على بني إسرائيل بسبب عبادتهم للعجل، حتى إن نبي الله هارون صاحبه

¹-السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 591/1.

²-ينظر: يحيى العلوي، الطراز لأسرار البلاغة، 51/2.

³- ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، كتاب الخصائص، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م)، 362/2.

⁴-ينظر: أبو السعود، إرشاد العقيل السليم، 293/5.

⁵-ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 457/2.

الرعب والإضطراب¹ عند جوابه ومنادته لأخيه نبي الله موسى، فحذف حرف النداء، وبإبلاغ القرآن في تصوير هذا المشهد الرهيب، بين هذين الأخوين الكريمين، وكل ذلك جرى من أجل صيانة الدين والمحافظة عليه .

2- حذف الكلمة

وقد ورد حذف الكلمة في مواضع منها ما ورد في حوار الخضر مع نبي الله موسى عند إخباره عن السفينة وسبب خرقها: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79] وفي الكلام تقدير محذوف (صالحة)² وصف للسفينة، ولما تقرر لا بد من دليل يدل على المحذوف كان الدليل هنا قوله: ﴿أَنْ أَعْيَبَهَا﴾ [الكهف: 79] فدل ذلك على أن السفينة كانت صالحة، فتمت دلالة الحذف هنا على الإيجاز، وفي هذا الحذف دلالة على شدة جبروت هذا الملك وفساده وكثرة ظلمه حيث أن غصبه للسفن يشمل الصالحة وغيرها، حتى تتم غايته بالغصب والاستيلاء³، وكذلك ما ورد أيضا في حوار الخضر مع نبي الله موسى في شأن الغلام الذي قتله الخضر، ﴿وَأَمَّا الْعُلْمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾ [الكهف: 80] ففي هذه الآية كلمة محذوفة تقديرها (الكافر)⁴ وهو صفة للغلام، وقد حذفت هذه الصفة للإيجاز، ودل عليها ما ورد في الآية من وصف أبوي الغلام بصفة الإيمان ﴿أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾ ولو كان على شاكلة أبويه لما جاز قتله، وقد ورد حذف الكلمة في حوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن وذلك في سياق دعوته لإبطال الآلهة التي كانوا يعبدونها وذلك في قوله تعالى: ﴿سَمِّئْتُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ﴾ [يوسف: 40] فقد

¹- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 116/9.

²- ينظر: القزويني، الإيضاح، 59/2.

³- ينظر: بسبوي، عبدالفتاح، علم المعاني دراسة بلاغية، 191/2.

⁴- ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 184/5.

حذف مفعول ﴿ سَمِّيَتْهُمَا ﴾ والتقدير أن يقال (آلهة¹) وفي هذا الحذف سر بلاغي، وذلك للتحقير والتهوين من شأن هذه الآلهة، وهو أحد أغراض الحذف المستعملة، ودل على هذا الغرض عدة دلائل وذلك بإسناد التسمية إليهم، ومن ثم كونها مسميات فارغة لا حقيقة لها بدلالة القصر، وكذلك كونها آلهة متفرقة، كل هذا دل على تحقير هذه الآلهة وتهوينها في نفوسهم.

3- حذف الجملة

ورد حذف الجملة في تحاور إخوة نبي الله يوسف فيما بينهم ويهدون للمكر به وذلك بعد أن اعترض عليهم أخوهم، وأخبرهم بما هو أقل شراً من ذلك، بعد أن عرض عليهم إلقاءه في البئر حتى يأخذه المارة من الناس، فقال: ﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [يوسف: 10] حيث حذفت جملة جواب الشرط وتقديرها ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (فافعلوا، أو فالفوه) ولكنها حذفت للإيجاز وفيها سر بلاغي أيضاً هو جرهم لقبول ما أشار به عليهم حيث لم يرد أن يشعرهم بأنهم ملزمين بهذا الرأي²، وكذلك ما ورد في حوار إخوة نبي الله يوسف يوم أن جاؤوا يشكون الجوع والقحط، وأخبروه بخبرهم ﴿ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الْأَرْضُ ﴾ [يوسف: 88] فهناك جملة محذوفة تقديرها (فرق لهم يوسف³) ثم أخبرهم وذكرهم بما فعلوه من خلال سؤالهم ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [يوسف: 89] .

¹- ينظر: الهرري، حدائق الروح والريحان، 425/13.

²- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 226/12، والهرري، حدائق الروح والريحان، 327/13.

³- ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 256/9، الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 552/2.

4- حذف الجمل.

وقد اشتملت آيات الحوار على حذف جمل كثيرة، تشتمل على تفاصيل متعددة وأحداث كثيرة؛ وذلك للإيجاز في عرض الأهم من جمل الحوار التي لها مقاصد وأراد القرآن إبرازها من غير إطالة بذكر التفاصيل، على عادة بلاغة القرآن العظيم في سوق الأحداث، وكذلك ما ورد من حذف للجمل في حوار ابني آدم وذلك بعد قوله: ﴿قال لأقتلنك﴾ [المائدة: 27]، فقد ذكر أهل التفسير حوار آخر جرى بينهم كله قد حذفت جملة من الذكر الحكيم، ومفاده قال لم تقتلني؟ قال لأنك ستكح أختي الحسناء وأنكح أختك الذميمة فيتحدث الناس أنك خيرا مني¹، كل هذه الجمل حذفت ولم تذكر وذلك للإيجاز، ومن الجمل المحذوفة ما دل عليه قوله تعالى: ﴿قال إني أنا أخوك﴾ [يوسف: 69] ففي أثناء هذا الحوار جرت جمل كثيرة من تحاور نبي الله يوسف وأخيه سبق ذكرها في مبحث القصر² كلها حذفت وأبرزت هذه الجملة فقط³ كل ذلك للإيجاز.

المطلب الثاني: الإطناب

الإطناب وهو: أن يكون في اللفظ زيادة على المعنى⁴، وتحت هذه الزيادة التي جاء بها الإطناب معانٍ عظيمة وأغراض كثيرة، تأتي من خلال صوره الكثيرة والتي منها الزيادة لغرض التأكيد وذكر العام بعد

¹ - بتصرف: الطبري، جامع البيان، 207/10، والتعلي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 50/4.

² - مبحث القصر.

³ - ينظر: التعلي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 80/15، والبغوي، معالم التفسير، 503/2.

⁴ - ينظر: القزويني، الإيضاح، 107/3، المؤيد العلوي، الطراز لإسرار البلاغة، 123/2.

الخاص والخاص بعد العام وله دلالات، ومنها التذييل وغيرها من الصور¹، وتحت كل صورة من صوره أغراض.

وقد ورد الإطناب في حوار الإخوة والأصحاب وذلك لعدة دواعي وأغراض منها:

1- التأكيد والتقريب

ما ورد في حوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن؛ وذلك في بيان حال الآلهة التي كانوا يعبدونها حيث بين لهم أنها مجرد مسميات ومن ثم أطنب بذكر المسمى وذلك في قوله تعالى: ﴿سَمِّئُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ﴾ [يوسف: 40] حيث أسند التسمية إليهم، وقد دلت عليه تاء الفاعل المتصلة بالفعل، إذن فالفاعل واضح معلوم، ولكن جاء بعد ذلك قوله: ﴿أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ﴾ حيث أطنب بهذه الجملة المفسرة للضمير المرفوع في جملة التسمية؛ وذلك لغرض زيادة المعنى وتقريبه في نفوسهم، وهذا أحد أغراض مجي الإطناب، ومن ثم هو أسند إليهم التسمية لرضاهم بهذه الآلهة، ويرى ابن عاشور المبادرة أيضا بإسنادها لأباهم سدا لعدم تطويل الحجاج² بحيث يقولوا نحن لم نسماها وإنما سماها الآباء، وكل ذلك من أجل أن يصل إلى اقناعهم بطلانها حرصا منه عليهم.

2- التأكيد على البراءة من الفعل

وذلك عن طريق ذكر الخاص بعد العام وقد ورد في حوار إخوة نبي الله يوسف حين نودي عليهم بالسرقة: ﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سُرِقِينَ﴾ [يوسف: 73] فإن السرقة ضرب من الإفساد في الأرض،

¹- ينظر: الأطول شرح تلخيص المفتاح، 90،86/2، و الدسوقي، حاشية الدسوقي، 706/2.

²- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 276/12.

ونوع من أنواعه، ولكن الإطناب جاء هنا من باب عطف الخاص في الجملة الثانية على العام الذي في الجملة الأولى؛ وذلك لفائدة وملمح مهم أرادوا تبينه في كلامهم، وهو أن الخاص المذكور نفي فعل السرقة، هو المقصود من ذكر العام¹، وذلك لشدة التأكيد على عدم فعلهم لهذا الأمر وبراءتهم منه، وفيه بيان أن السرقة من أكبر المفاسد في الأرض.

2- إرادة العذر

وذلك عن طريق عطف العام على الخاص وقد ورد في تحاور إخوة نبي الله يوسف فيما بينهم، وتشاورهم بعد أخذ أخيهم منهم، حيث تناقشوا بماذا سيرجعون لأبيهم ثم قال أحدهم: ﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي﴾ [يوسف: 80] فإن إذن أبيه أمر خاص، داخل في حكم الله تعالى وإذنه، فعطف العام على الخاص، وقد ربط الأمر بأمرين وغايتين وهو إذن الأب وحكم الله له، فإنه حمل هم الوعد الذي أعطي لأبيه فذكر أنه لا يرجع حتى يأذن له، ثم تذكر أن الأمور لا تجري إلا بقدر الله وحكمه²، فعطف العام على الخاص، والغرض من ذلك إرادة عذر أبيه له وهو المراد من الإطناب.

4- إظهار الالتجاء إلى الله

ورد هذا النوع أيضا في تحاور إخوة نبي الله يوسف فيما بينهم تكملة للحوار في النقطة السابقة حيث ختم كلامه بإطناب التذليل وهو: "وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد"³ وذلك في قوله: ﴿أو يحكم الله لي وهو خير الحكّمين﴾ [يوسف: 80] فيعد هذا أحد أنواع الإطناب، وهو إطناب جميل

¹- ينظر: الهري، حدائق الروح والريحان، 83/14.

²- بتصرف: أبو حيان: البحر المحيط، 312/6.

³- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 205/3.

المراد منه إظهار "الالتجاء إلى الله تعالى"¹ في مثل هذا الموقف العصيب فإنهم حقا في موقف صعب، يأخذ أخيهم منهم وقد أعطوا العهد لأبيهم بإرجاعه، وتفريطهم بيوسف من قبل، فهو هنا يظهر لنفسه ولإخوته طريق الاعتماد على الله في الخروج من الأزمات بعد استحكامها.

5- شدة العتاب

ورد في حوار الخضر مع نبي الله موسى وذلك بعد أن نسي العهد بعدم سؤال الخضر إلا بعد أن يبين هو له الأمر، وكان هذا النسيان الثاني الذي جاء عقب مقتل الغلام حيث عاتبه قائلاً: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ [الكهف: 75] وقد ورد العتاب بزيادة ﴿لَك﴾ وهذه اللام هي لام التبليغ وذكرها في الكلام لزيادة وتقوية الكلام للسامع، فذكرها في الكلام مع التقرير والإنكار أقوى وأشد في العتب²، ولم تذكر هذه الزيادة في العتاب الذي قبله، ولكن مجيء الإطناب هنا بهذه الزيادة لغرض تأكيد العتاب على نبي الله موسى بعد نسيانه الوصية أكثر من مرة وتذكيره بما أخبره به في بادئ الأمر أنه لن يصبر على ما سيشاهده من الأحداث³.

6- التأكيد

ما ورد في حوار نبي الله موسى مع أخيه هارون في عتابه على تركه لبني إسرائيل يعبدون العجل حيث قال له: ﴿ألا تتبعن أفغصيت أمري﴾ [طه: 93] وأصل الجملة من دون الإدغام (أن لا تتبعن)، والإطناب في

¹-الحازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 547/2.

²- ينظر المؤيد العلوي، الطراز لأسرار البلاغة، 78/2، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 5/16.

³- ينظر: الهري، حقائق الروح والريحان، 26/17.

زيادة(لا)؛¹ وذلك لزيادة وتأکید الاستفهام الإنكاري في الجملة، لعدم مؤاخذته لبني إسرائيل على عبادة العجل.

7- الاستعطف

وذلك في حوار إخوة نبي الله يوسف، حين طلبوا منه أن يرد عليهم آخاهم المتهم بالسرقة وذلك في قولهم :
﴿إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخَا كَبِيرًا﴾ [يوسف: 78] الإطناب بقولهم ﴿كَبِيرًا﴾ فمن المعلوم أن يكون الشيخ كبيراً في السن، ولكنهم أرادوا استعطفه، من خلال هذا الوصف والإطناب²، وكأنهم يقولون مثل هذا الشيخ الكبير لا يتحمل أن يُصدم بمثل هذا الخبر.

7- إظهار الرجاء

ورد في حوار الإخوة أصحاب البستان، بعد أن وجدوا بستانهم محترق وعلموا أن ذلك بسبب فعلهم قالوا نادمين: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رُغْبُونَ﴾ فالجملة الثانية ورد فيها إطناب لكون هذه الجملة بدل من الجملة الأولى، وهي جملة الرجاء، ففي قولهم : ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ إطناب وذلك لاشتمال رجائهم على رغبة حقيقية بأن يقبلهم الله ويستجيب لهم وقيل هو تلقين من أخيهم،³ الذي حذرهم من قطع الصدقة عن المساكين، يوجههم بإمكان توبتهم وإنابتهم إلى الله، يرغبهم في ذلك من خلال هذا الإطناب.

¹-ينظر: الهرري، حدائق الروح والريحان، 440/17.

²-ينظر: الألوسي، روح المعاني، 32/7، والهرري، حدائق الروح والريحان، 83/14.

³-ينظر: الطاهرين عاشور، التحرير والتنوير، 88/29.

لاحظ الباحث في نهاية هذا المبحث شيوع أسلوب الإيجاز في حوار، وشيوع الإطناب تارة أخرى وفي حوار آخر؛ وذلك حسب الجو الذي جرى فيه الحوار والموضوع الذي سيق له، ففي تحاور هابيل وقابيل كان الإيجاز حاضر لأن جو الحوار يقتضي الإيجاز، بسبب صدمة الموقف، وكذلك عند تحاور نبي الله موسى مع أخيه هارون عند الوصية كان الإيجاز حاضر، ولكن عند العتاب على عدم منع بني إسرائيل عن عبادة العجل استعمل الإطناب؛ وذلك لأن المقام يقتضي ذلك...

كما أشيع الإطناب في تحاور نبي الله يوسف وإخوته، تارة عند النداء عليهم بالسرقة وإخرى عند استعطافهم نبي الله يوسف من أجل رد اخيهم، ففي مثل هذا الحال لا بد من الإطناب، أما في تحاور موسى والخضر فالموقف يشهد أموراً عجيبة، وفيه شيء من بيان العلم مع العتب، وفي مثل هذا الجو والمواقف فإن الإطناب هو الأسلوب الأمثل الذي يقتضيه المقام، وأما إيجاز الحذف في كل أنواعه، فقد جرى في جمل الحوار في سياق عجيب حيث حذفت جمل كثيرة من أحداث لم يعرضها القرآن إما لخلوها من الفائدة أو لعدم الإطالة أو لأجل الإيجاز.

الفصل الثالث: الصور البيانية والألوان البديعية في آيات الحوار

وفيه مبحثان

المبحث الأول الصور البيانية

المطلب الأول: التشبيه والاستعارة

المطلب الثاني: المجاز

المطلب الثالث: الكناية

المبحث الثاني: علم البديع

المطلب الأول: المحسنات المعنوية

أولاً: الطباق

ثانياً: أسلوب الحكيم

ثالثاً: تجاهل العارف أو سؤال العالم عما يعلم

رابعاً: اللف والنشر

خامساً: الادماج

سادساً: الاحتراس

سابعاً: التفريق

المطلب الثاني: المحسنات اللفظية

أولاً: الجناس

ثانياً: السجع

ثالثاً: براعة الاستهلال

رابعاً: الاحتباك

خامساً: الافتنان

المبحث الأول: الصور البيانية

علم البيان هو: ما "يعرف به كيفية إيراد المعنى الواحد بطريق مختلفة في وضوح الدلالة واختلاف الطرق"¹، ومن خلال هذا التعريف يتبين الفرق بين علم البيان، وعلم المعاني الذي يراعي مقتضى الحال، وعلم البديع الذي يبحث عن وجوه تحسين الكلام، والطرق المختلفة التي يأتي من خلالها التصوير البياني هي التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية، وكل هذه الصور البيانية لأجل الكشف عن المعاني التي تدركها النفس من غير عقلة أو تعقيد²، وقد مر البيان بجملة من التعاريف من الجاحظ، والرماني، وابن رشيق إلى السكاكي³ والقزويني، حتى أخذ عند الأخيرين طابعاً علمياً دقيقاً، وأصبح يدل على البيان المعروف اليوم بالتشبيه والمجاز والكناية بعد أن كان مشتملاً على الفنون البلاغية كلها عند القدماء، والتصوير البياني هو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، ثم يأتي جرس الكلمات ونغم العبارات والوصف والحوار مشتركة في إبراز صور الموصوف حتى تمتلأ العين والحس والفكر منها⁴، وفي هذا المبحث يسعى الباحث لكشف هذه الصور البيانية التي وردت في آيات الحوار، وتبين آثارها في كشف المعاني وإبرازها.

¹-القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 121/1.

²-ينظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، (بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، 254 /1.

³- الجاحظ، البيان والتبيين، 81/1، وأبو الحسن الرماني، كتاب النكت في إعجاز القرآن، 106، وابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 254 /1، والسكاكي، مفتاح العلوم، 329.

⁴- بتصرف: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، (القاهرة: دار الشروق، 1425هـ - 2004م)، 33.

المطلب الأول: التشبيه والاستعارة

أولاً: التشبيه

"أن التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر"¹.

وقد ورد التشبيه في آيات الحوار، وذلك عندما عرضت امرأة العزيز نبي الله يوسف لصويحباتها، بعد أن سمعت مقالاتهن فيها، فلما شاهدته قلن: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلِكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31] فقد شبهن نبي الله يوسف بالملك، فالتشبيه هنا تشبيه بليغ قد حذف منه الأداة ووجه الشبه، وهو تشبيه حسي بمعقول، حيث شبهن نبي الله يوسف المحسوس بالملك أو بالملائكة، وهو أمر معقول غير محسوس، وهذا التشبيه الغرض منه الإشارة إلى وصفه بأعلى درجات الحسن والكمال، من خلال ربطه بالمشبه به وهو الملك؛ وذلك لما تركز في فطرة الإنسان أن الملائكة خلق لطيف جميل، فلما أردن أن يصفن نبي الله يوسف بشدة الجمال شبهنه بالملك؛ وذلك لجامع الحسن والجمال².

ثانياً: الاستعارة

"استعمال لفظٍ ما في غير ما وُضِعَ له في اصطلاحٍ به التخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفةٍ عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاحٍ به التخاطب"³ والاستعارة قسم من أقسام المجاز.

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، 332.

² - ينظر: الخازن، لباي التأويل في معاني التنزيل، 226/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 272/4، ومحمود صايفي، الجدول في

إعراب القرآن وصرفه وبيانه، (دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان، 1416هـ - 1995م)، 45/15.

³ - عبد الرحمن حبنكة الميداني، كتاب البلاغة العربية، 2/ 229.

ورد في حوار الإخوة والأصحاب عدة استعارات، وكثرت في حوار موسى مع يوشع في رحلتهما إلى الخضر، ولعل كثرة هذه الاستعارات يرجع لما حصل من أمور غريبة وعجيبة، فالاستعارة بأسلوبها البديع تعطي مساحة في تصوير الأمور وربط المستعار به للمستعار له.

فأما الاستعارة التصريحية: فهي " أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به"¹ وأما كونها تبعية وهي: التي يكون اللفظ المستعار فيها مشتقاً²، وقد ورد ذلك في حوار نبي الله موسى مع غلامه وصاحبه يوشع حينما عزم على المسير إلى الخضر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أBRُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: 60] فكلمة (مضى) حقيقتها في نفوذ الأمر، فاستعيرت هذه الكلمة للسير والذهاب؛³ وذلك لكي يستمد من دلالة معناها الأصلي على إتمام ما أراد تحقيقه في سيره، ويرى الباحث أن في هذه الاستعارة معنى عظيماً أراد أن يوصله نبي الله موسى لصاحبه وفتاه يوشع عن علو الهمة في إدراك وتحقيق ما يريد من أجل الغايات الحميدة، وهذه من منافع وآثار الصحبة الصالحة.

وكذلك وردت الاستعارة في حوارها على لسان يوشع، حينما أراد أن يبلغه بقصة الحوت: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ [الكهف: 63] فقوله: (أرأيت) استعير للمعرفة التامة والأمر المشاهد بوضوح،⁴ فكأنه يقول: أعرفت معرفة تامة كما تشاهد الأمر الذي أمامك، فحذف المشبه وأقام المشبه به

¹-السكاكي، مفتاح العلوم، 373.

²- بتصرف: عبد العزيز عتيق، علم البيان، 183.

³-بتصرف: الهرري، حدائق الروح والريحان، 459/16.

⁴-ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 233/5، الهرري، و حدائق الروح والريحان، 459/16.

مقامه، على سبيل الاستعارة؛ وكل ذلك لوصف ما جرى من حدث غريب بصورة واضحة لني الله موسى، حتى يتصور الحدث.

وكذلك الاستعارة في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَّخِذُ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: 61] وذلك من حكاية يوشع لموسى فإن قوله: (سربا) حقيقته الحفيرة من الأرض، ولكن حذف المشبه وأقيم المشبه به مقامه، فاستعيرت لطريق الحوت في الماء؛ وذلك لجامع النفوذ في كل منها¹.

ووردت الاستعارة التبعية في حوار الإخوة أصحاب الجنة، وذلك عند تحاورهم واتفقهم على قطع الثمار، ومنع المساكين قال الله تعالى على لسانهم: ﴿ أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرْمِينَ ﴾ [القلم: 22] فالغدو هو الإغارة فقد شبه ذهابهم لقطع الثمار بغدو الجيش على إغارة، ومعنى الاستعلاء والاستيلاء الموجود في هذه الإغارة هي موجودة في الصرم والقطع، فاستعير هذا المعنى لقطعهم الثمار عن طريق الاستعارة التبعية²، فالصورة المنتزعة من متعدد الموجودة في تركيب الغدو، تصور حرص، وشدة هؤلاء الإخوة على ما يريدون تنفيذه من قطع الثمار ومنع المساكين.

المطلب الثاني: المجاز

المجاز هو العدول "باللفظ عما يوجبه أصل اللغة"³، وقد قُسم المجاز إلى نوعين وهو المجاز العقلي والمجاز اللغوي المرسل⁴، وقد استعمل العرب المجاز لما يحققه من السعة في الكلام و "ميلهم إلى الاتساع في

¹-بتصرف: الهري، حدائق الروح والريحان، 459/16.

²- بتصرف: الجدول في إعراب القرآن، 45/15.

³-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، 395.

⁴- المصدر السابق نفسه، 408.

الكلام، وكثرة معاني الألفاظ، ليكثر الالتذاذ بها، فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة¹.

أولاً: المجاز العقلي

المجاز العقلي وهو "إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو، بتأول"² وقد ورد المجاز العقلي في حوار الإخوة والأصحاب في مواطن سيتم بيانها، وذلك من عن طريق العلاقات التي جاء المجاز من خلالها وهي:

1- الزمانية

وذلك في حوار نبي الله يوسف مع صاحبه الذي خرج من السجن حينما عبر له رؤيا الملك، كان من ضمن كلامه ما قال: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ [يوسف: 48] حيث أسند الفعل إلى السنين، والسنين لا تأكل وإنما يأكل الناس والعلاقة هنا زمانية، حيث يأكل الناس في هذه السنين³ وقيل أسند الفعل إلى السنين لأنها سنين مجدبة وغير منتجة فكأنما هي التي تأكل⁴ ولعله أسند الفعل هنا إلى السنين بسبب الأحوال التي سيمر الناس بها في هذه الفترة.

2- سببية

¹- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1909م 1327هـ)، 10.

²- القزويني، الإيضاح، 86/1.

³- ينظر: الهرري، حدائق الروح والريحان، 458/13.

⁴- بتصرف: محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، (القاهرة: دار الفكر العربي، 2007م)، 3831/7.

ورد هذا المجاز عند تحاور نبي الله يوسف مع إخوته وذلك عند قوله: ﴿ألا ترون أيُّ أوفي ألكيل وأنا خيرُ المُنزِلين﴾ [يوسف: 59]

ورد هذا المجاز عند تحاور نبي الله يوسف مع إخوته وذلك عند قوله: ﴿ألا ترون أيُّ أوفي ألكيل وأنا خيرُ المُنزِلين﴾ [يوسف: 59] فإنه أسند الإيفاء بالكيل لنفسه مع أن من يقوم بفعل ذلك هم عماله¹؛ ولكنه أسند هذا الفعل لنفسه لأنه الأمر، فالعلاقة هنا في هذا المجاز علاقة سببية.

3- اطلاق المصدر على اسم الفاعل

ورد ذلك في حوار الصاحب المؤمن مع صاحب الجنتين، وذلك في دعائه عليه: ﴿أو يُصبح مأوَّها غورا فلن تستطيع لهُ طلباً﴾ [الكهف: 41] فاستعمل المصدر هنا غورا بدل اسم الفاعل غائراً؛ وهذا ما يتحقق عن طريق المجاز؛ وذلك للمبالغة في تمني اهلاك جنته²، وتأتي هذه المبالغة في الدعاء بعد أن استنفذ الصاحب المؤمن كل الطرق والوسائل في دعوته إلى الله، وما كان من ذلك الصاحب إلا العناد والمكابرة والاصرار على ما هو عليه من الجحود، فحقق المجاز في هذه الكلمة دوره في بيان المعاني والاتساع في الكلام والدلالة على كثرة المعاني، من خلال ما تحقق في نفس الصاحب المؤمن من المبالغة في دعائه حتى أخرجه هذا المخرج.

¹ - ينظر: الهرري، حدائق الروح والريحان، 46/14.

² - سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، 250/8.

ثانياً: المجاز اللغوي المرسل

"وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالاً في الغير بالنسبة على نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع"¹، وقد ورد في آيات الحوار هذا المجاز، وذلك من خلال العلاقات الآتية:

1- المحلية

ورد المجاز اللغوي المرسل في قوله تعالى على لسان إخوة نبي الله يوسف حين فقدوا أخاهم في مصر بسبب ما نسب إليه من السرقة، فقال أحدهم موجهاً لهم بما يرجعون به إلى أبيهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا ﴾ [يوسف: 82] والقرية لا تسأل، وإنما يسأل أهلها²، ولكنه ورد على طريقة المجاز المرسل والذي علاقته المحلية؛ ولعل السر في إسناد السؤال إلى القرية هو الدلالة على إثبات صحة قولهم بأن جميع من في القرية يشهد على ما حدث، وكذلك ما ورد في نفس الحوار حين وجهوا أباهم لسؤال العير والعير لا تسأل وإنما يسأل أصحابها والعلاقة في ذلك المجاورة.

2- المجاورة

ومن المجاز المرسل الذي علاقته المجاورة كذلك ما ورد من النداء على إخوة نبي الله يوسف حين اتهموا بالسرقة: ﴿ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسْرِفُونَ ﴾ [يوسف: 70] والمراد من ذلك أصحاب الإبل والعلاقة في ذلك المجاورة³، ويتمثل المجاز هنا في كلمة العير من خلال العلاقة بينها وبين المراد منها وهم أصحابها؛ وذلك

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، 359.

² - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 40/13.

³ - ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 160/11.

لشدة الاتصال بينهما مع عدم إمكان إرادة المعنى الحقيقي، لأن الإبل لا تنادى، فشاع هذا الاستعمال عند النداء على القافلة.

3-الجزئية

ورد هذا النوع من المجاز في تحاور إخوة نبي الله يوسف، وذلك لإغراء بعضهم بعضا على قتل يوسف أو ابعاده عن أبيه، وذلك في قولهم: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: 9] حيث ذكروا الوجه والمراد الكل على طريقة المجاز المرسل، والعلاقة في ذلك هي الجزئية؛ كون الوجه جزء من البدن والسر في ذلك أن الوجه هو أشرف ما في الإنسان، وأن الإنسان حينما يقبل يقبل بوجهه، فهم أرادوا خلوهم بأبيهم وانصرافه إليهم،¹ لذلك جاء المجاز وفيه تنبيه على قصدهم من فعلهم هذا.

4- باعتبار ماسيكون

ورد هذا النوع من المجاز عند سؤال صحبة السجن لنبي الله يوسف عند قص الرؤيا عليه، وذلك في قوله تعالى على لسانهم: ﴿إِنِّي أَرْنِي أَحْمِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: 36] فأطلق لفظ الخمر على العنب مع أنه كان يعصر العنب؛ وذلك باعتبار ما سيؤول إليه أمر العنب على سبيل المجاز المرسل والعلاقة فيه باعتبار ما سيكون.²

¹-بتصرف: الهري، حدائق الروح والريحان، 326/13.

²-ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 163/3.

المطلب الثالث: الكناية

"إن الكناية لفظ أريد به ما وضع له استعمالاً، وغير ما وضع له إفادة"¹ وقد وردت الكناية في نوع الحوارات الطويلة كتلك التي جرت بين نبي الله يوسف وإخوته أو بين نبي الله يوسف وصحبة السجن، وكذلك بين الصاحب المؤمن مع صاحب الجنتين، والتي اشتملت على إقناع ونقاش، حيث لم ترد في الحوارات القصيرة حسب اطلاع الباحث.

1- وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الكهف: 42] وذلك بعد الحوار الجاري بين الصاحب المؤمن مع صاحبه صاحب الجنتين الذي اغتر بهما، بعد حوار طويل جرى بينهما من عجبه بجنتيه ورد صاحبه المؤمن عليه بعدم اغتراره واعتراضه على كفره وعدم نسبته الفضل لله عز وجل، تأتي الكناية لتصور حال هذا المغتر بماله وجنتيه وهما محترقتان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ فهذه الحالة "كناية عن التحسر والندم لأن النادم يضرب بيمينه على شماله"² وقد أوجزت هذه الكناية عن كلام كثير حتى قامت مقام الحوار مع صاحبه المؤمن، وكشفت أحوال قلبية عصبية مر بها هذا المغتر الجاحد لنعمة ربه.

2- وردت الكناية في حوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن في بيان دعوتهم لله عز وجل، وإبطال عقيدتهم في الآلهة التي كانوا يعبدونها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطٰنٍ ﴾ [يوسف: 40] ففي هذه الآية كناية عن بطلانها وبطلان عبادتها فإن عدم إنزال السلطان من الله تعالى كناية عن عدم وجود دليل يدل على إلهية هذه الآلهة وشواهد تدل عليها في العالم فحينما لم يكن هذا السلطان

¹ - بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 2/ 15.

² - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 2/ 179.

منزل من عند الله تعالى فهذا دليل على بطلانها،¹ وشوهد في هذا الحوار الدائر بين نبي الله يوسف مع صحبة السجن أمر عجيب في استمالتهم إلى الحق واستعمال شتى الأساليب لإقناعهم بما فيه صلاحهم.

3- وردت الكناية في حوار نبي الله يوسف مع إخوته حينما أمرهم بأن يأتوا بأخيهم بنيامين، وذلك في قوله: ﴿ألا ترون أنّي أوفى الكيل وأنا خيرُ المُنزِلين﴾ [يوسف: 59] ففي هذه الآية كناية عن الوعد لإخوته بأنه سيوفيه لهم ويحسن ضيافتهم إن أحضروا أخاهم له،² وموقع الكناية هنا في هذا المقام له أثر في نفوسهم فإنه وإن أخرج الكلام على مخرج الاستفهام التقريري إلا أنه أراد الكناية عن إيفاءه بالوعد لهم بإعطائهم المزيد من الكيل الذي هم بحاجة له؛ وذلك لأجل ترغيبهم بإحضاره.

المبحث الثاني: البديع

"وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"³.

ويهتم هذا العلم بتزيين الكلام وتحسينه والمرجع في هذا التحسين والتزين قد يكون من جانب المعنى أو من جانب اللفظ؛ ولذلك ينقسم هذا العلم ومحسناته إلى قسمين محسنات معنوية ومحسنات لفظية⁴

وتأتي ألوان البديع لأن تكون الحلي المزينة للكلام والتي تكسوه بهجة ورونقا، بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة، وذلك من خلال شقيه المعنوي واللفظي، وهذا الفن من فنون العلم لا يقل عن غيره في إظهار عظمة القرآن وبيان روعته والكشف عن سر فصاحته عن علمي المعاني والبيان، وقد استدلل العلماء بألوان البديع على إعجاز القرآن كما استدلوا على إعجازه بمسائل الذكر والحذف والتقديم

¹ - بتصرف: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/ 276.

² - بتصرف: المصدر السابق نفسه، 13/ 13.

³ - عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، 4/ 571.

⁴ - المصدر السابق نفسه، 3/ 571.

والتأخير،¹ وفي مقام الحديث عن حوار الإخوة والأصحاب لا بد من الوقوف على ما ورد في آيات التحاور بينهم من فنون هذا العلم ومعرفة أثرها في الحوار، وقد وقف الباحث على ثلاثة عشر محسناً بديعياً في آيات الحوار بين محسن معنوي وآخر لفظي.

المطلب الأول: المحسنات المعنوية

وهي التي يرجع الجمال والتحسين فيها إلى المعنى،² وفيما يلي نذكر ما ورد منها في آيات الحوار مما اطلع عليه الباحث.

أولاً: الطباق

أو "المطابقة وهي أن تجمع بين متضادين"³، وقد احتوت آيات الحوار على هذا المحسن، ولعل ذلك يرجع لخصوصية الحديث بين تلك الفئتين من مقارنة في الكلام بين حقائق مختلفة، فيحتاج عندها للتقابل في الألفاظ ومنها إلى المعاني وهذا ما يوفره الطباق من غير تكلف، بل يأتي آية في الحسن والعجب⁴.

ورد هذا المحسن في آيات الحوار في عدة مواضع منها:

1- ما ورد عند لقاء نبي الله يوسف مع إخوته بعد مجيئهم إليه ودخولهم عليه وذلك في قوله تعالى: ﴿فَعَرَفْتَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: 58] الطباق بين كلمتي (عرف وأنكر) وفي هذا الطباق قص جميل وإشارة بليغة، لتلك الأخوة من جهة يوسف بمعرفته لهم وأدائه لحقوقهم، ومن جهتهم بنكران الأخوة

¹ - ينظر: صفى الدين الحلي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، (دمشق: مجمع اللغة العربية، 1412هـ-1992م)، 51.

² - بتصرف: الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، 7/4.

³ - السكاكي، مفتاح العلوم، 423.

⁴ - ينظر: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1413هـ-1992م)، 2/419.

والألفة التي أوجبها الله، فنشعر أن في هذا الطباق معنى قريب ومعنى بعيد، فالمعنى القريب هو ما يؤديه ظاهر المعنى من معرفته لأشكالهم وسماتهم، على الرغم من مر السنين لم ينسهم، وأما المعنى في نكرانهم له، فالقريب هو عدم معرفتهم لشكله وما طرأ عليه من تغيير¹، والبعيد كأنه يشير إلى ما أنكروه من حق الأخوة والألفة التي لم يحفظوها "في حالتي المحضر والمغيب أخبر عنه بالجملة الاسمية"² والتي تدل على الثبوت؛ فقد أدى الطباق هذه المعاني الجميلة من خلال إبرازه في مقدمة الحوار، مع ما توحيه الصورة من ألم وحزن عميق تحدثه في نفس السامع.

2- ورد في أثناء حوار نبي يوسف وإخوته؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ [يوسف: 77] فالطباق بين كلمتين (أسر وييدي) وقد جاءت هذه الآية أثناء تحاورهم بعد أن وجدوا الصواع في رحل أخيهم بنيامين، واستغل هؤلاء الإخوة هذا الحدث للمز يوسف بحادثة قديمة نسبت إليه،³ فرد عليهم بالآية التي فيها الطباق، فورود الكلمة بضمها في هذا الموقف كأنه يصف صعوبة هذا الأمر على الإنسان وهو ابداء الصبر يمثل هذا الموقف، وفي هذا الطباق صور عميقة أيضا للحزن وموحية يكشفها هذا المحسن البديعي لما أكتنفته وحصل له، وفوق ذلك عدم مؤاخذته لهم بهذا القول مع أنهم تحت يده.

3- وقد ورد الطباق كذلك في حوار موسى ويوشع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَلِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [الكهف: 63] فقد ورد الطباق بين كلمتين (نسيت و اذكر) وكأن في

¹-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 220/9.

²- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 288/4، والآلوسي، روح المعاني، 9/7.

³- ينظر: الهري، حقائق الروح والريحان، 83، 59/14.

هذا الطباق دلالة على تلك الحالة العجيبة التي شاهدها من أمر الحوت، فكأنه أراد أن يؤكد على تعجبه من عدم تذكر هذه الحقيقة بلفظ النسيان والذكرى.

4- ورد الطباق أيضا في حوار الناجي من السجن مع نبي الله يوسف، وذلك عند قصه للرؤيا، في قوله:

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ حُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف:

46] فقد ورد الطباق بين قوله: {سِمَانٍ}، و {عِجَافٌ}، وبين قوله: {حُضْرٍ}، وقوله: {يَابِسَاتٍ}.

5- وقد ورد طباق السلب في حوار ابني آدم وذلك قوله تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتُ ... مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ﴾

[المائدة: 28].

ثانيا: الأسلوب الحكيم

"وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب"¹ ويكون استعمال هذا الأسلوب عند الجواب على سؤال، لذلك قال تلقي المخاطب، وغالبا عندما يكون الجواب بأمر آخر هو أولى مما يريده السائل أو لأمر أخرى، ويأتي هذا الأسلوب لمراعاة الفوارق الاجتماعية، أو الفوارق بالاهتمامات الفردية.

ورد هذا الأسلوب في غير موطن من كتاب الله، وقد ورد ذلك في حوار أصحاب الكهف بعد استيقاظهم

من نومهم وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى

الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: 19] فقد أشار الطاهر بن عاشور إلى أن هذا الكلام يحتوي على أسلوب الحكيم،

وذلك حينما سألوا عن مدة نومهم؟ أجاب بعضهم بنسبة العلم إلى الله، ومن ثم الإرشاد إلى ما هو أهم

من ذلك؛ وهو احتياجهم للطعام،² وعلى هذا يكون الكلام قد احتوى على هذا المحسن البديعي؛ والذي

¹ - السكاكي، مفتاح العلوم، 327.

² - بتصرف: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 284/15.

فيه الإشارة على الاشتغال بما هو أنفع وأولى من الأمور بمثل هذه المواقف، وهنا تكمن بلاغة هذا الأسلوب، وفي هذا توجيه من التوجيهات التي اشتملت عليها آيات الحوار لكل صحبة بما ينبغي عليهم فعله، ومما يرشد إليه القرآن لأهميته.

ثالثاً: تجاهل العارف أو سؤال العالم عما يعلم

"وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم"¹

فهو إخراج المعلوم مخرج المجهول بأن يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلاً به لأغراض، وقد ورد في آيات الحوار بين نبي الله يوسف وإخوته هذا المحسن المعنوي؛ وذلك حين عرفهم بنفسه من خلال قوله لهم: ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جهلون﴾ [يوسف: 89] فهو يعلم ما سيقولون ولكنه ساق لهم هذا الاستفهام والسؤال لغرض التوبيخ على ما فعلوه به من التفريق بينه وبين أبيه وما أحدثوه له من إلقاءه في الحب، وقيل غرضه النصح لهم وحثهم على التوبة².

رابعاً: اللف والنشر

"وهو ذكر متعدّد على التفصيل أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يردّه إليه"³

تكمن بلاغة هذا المحسن البديعي في تجهيز النفس وإعدادها لتلقي ما يذكر المتحدث من النشر الراجع إلى اللف، بحيث تتربق النفس هذا العائد، فإذا جاء النشر وقع في النفس موقعه وأثر تأثيره المراد منه⁴،

¹-عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع، كتاب تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، (مصر: العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 2008م)، 135.

²- ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 175/3.

³-عصام الاسفراييني، كتاب الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، 102/1.

⁴- ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة وعلم البديع، (القاهرة: مؤسسة المختار، الإحساء: دار المعالم الثقافية، 1998م)، 212.

وتتحقق حينئذ الأغراض الأخرى في داخل الكلام التي يرنو إليها المتحدث من خلال النشر على وفق اللف أو خلافه، كل ذلك تحقيقاً للمقاصد المطلوبة.

ورد هذا المحسن بنوعيه في آيات الحوار

1- النشر وفق ترتيب اللف:

ورد هذا المحسن في حوار الخضر مع نبي الله موسى وذلك بعد أن بين له الحكمة من الأفعال التي جرت، والتي هي أولها أمر السفينة، وثانيها قتل الغلام، وثالثها أمر الجدار، وهذا هو اللف وفق ترتيب الأحداث، وحينما قرر الفراق وبيّن له ما حدث، جاء النشر على وفق ترتيب اللف وعلى حسب تسلسل الأحداث وذلك في قوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ [الكهف: 79] ثم ذكر خبرها بعدها: ﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ﴾ [الكهف: 80] ثم ذكر قصته وبعدها: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ [الكهف: 82] وبين حال أصحابه، فقد ورد في هذا الحوار هذا المحسن البديعي¹ ولعل السر فيه أنه مقام أحداث متسلسلة، لذلك جاء على وفق ما يقتضيه هذا التسلسل، ثم إن الحوار كان أساسه وغرضه العلم وإبراز الحكمة والبيان الذي يحتاجه، أنه لما جاء وقته بينه على أكمل وجه.

2- اللف والنشر على خلاف الترتيب

ورد هذا النوع من المحسن في حوار الصاحب المؤمن مع صاحبه صاحب الجنتين في قوله تعالى على لسانه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34] وقوله: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ ٣٥﴾

¹ - ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، 6/16.

وما أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴿ [الكهف: 35-36] وتتمثل خلاصة أقوال الكافر في ثلاث مقالات، شنيعة وهي: تفاخره بماله على صاحبه، واعتزازه بجنته وبستانه وعدم نسبة الفضل لله، ثم إعلانه للكفر؛ وذلك بتصوره عدم قيام الساعة....

وهكذا كان ترتيب أقواله ثم جاء الجواب من الصاحب المؤمن منشورا على خلاف ترتيب اللف فقد ابتداء الرد عليه من خلال النقطة الأخيرة فوبخه على كفره بالله؛ وذلك بقوله: ﴿ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الكهف: 37] ردا على كفره بالبعث، ثم وعظه ونصحه على قوله في الجملة الثانية بقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ ﴾ [الكهف: 39] بالتوجه إلى الله ونسبة الفضل إليه، ثم آخر الرد على تفاخره¹ بالجملة الأولى بقوله: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ﴾ [الكهف: 40] ويرى الباحث مجيء اللف والنشر على خلاف الترتيب لأغراض معتبرة عند الصاحب المؤمن، فكأنه ابتداء بالرد على الأولى لعظمتها وتعلقها بالله كون الصاحب الظالم أعلن فيها الكفر بالله، فكانت هذه القضية ذات أولوية عند الصاحب المؤمن والثانية لتعلقها بظلم هذا الرجل لنفسه فبين له ما يرفع به هنا الظلم والسبيل الذي لو سلكه لدامت له جنته، والثالثة و التي آخر الرد عليها وهي التفاخر بالمال وإبراز هذا الصاحب الكافر على صاحبه المؤمن، أجابه عليها آخر شيء ترتيبا عجيبا يرشد من خلاله إلى معان عظيمة في نفس هذا الصاحب المؤمن وأولويات كبيرة عنده ساقها القران الكريم ببلاغته العظيمة، من خلال هذا المحسن البديعي.

¹ - ينظر: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن، فتح البيان في مقاصد القرآن، (صيدا: مكتبة العصرية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م)، 52/8، والهرري، حدائق الروح والريحان، 402/16.

خامساً: الإدماج

وهو "أن يُضمن كلام سيق معنى آخر"¹ و هذا المعنى لم يصرح به وهو المضمن المدمج والذي يجب ألا يكون مصرحاً به ولا يكون في الكلام تنبيه بأنه مسوق لأجله، وإلا لم يكن ذلك إدماج.

ورد هذا المحسن المعنوي في حوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن في قوله: ﴿إِن هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ [النجم: 23] فقد ذكر ضمير الفاعل وهو التاء، ولكنه فصل بعد ذلك فقال: ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ حتى لا يقولوا: هذه من تسمية الآباء، أو حتى يشعروهم أن هذا من ذنب الآباء وليس ذنبكم، فهو يلقنهم العذر² بنسبة هذا الأمر لآبائهم، فهذا المعنى المدمج في الكلام الذي لم يصرح به؛ وإنما جاء تبعاً لتقرير أمر آخر وهو بطلان الآلهة الذي سيق الحوار من أجله.

ورد محسن الإدماج كذلك في حوار مع إخوته حين قال لهم: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْطَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: 93] وبشروه بأن يوسف لا يزال على قيد الحياة حيث أدمج خبره بأنه حي موجود بخبر إتيان أبيه بصيراً "إدماجاً بليغاً"³.

سادساً: الاحتراس

وهو "أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل، فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك"⁴ وقد ورد هذا المحسن في مواطن عديدة من كتاب الله، ويكون باتباع الكلام بجملة ترفع ما قد يكون من توهم أو فهم خلاف المقصود.

¹ - بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 274/2.

² - بتصرف: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 276/12.

³ - المصدر السابق نفسه، 51/13.

⁴ - ابن أبي الأصبغ، كتاب تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، 245.

ورد هذا المحسن البديعي في حوار ابني آدم وذلك في قوله تعالى: ﴿لَمَّا بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 28] لما بين له امتناعه من مشاركته هذه الخطيئة وعدم مقاتلته، حتى لا يظن أنه عاجز عن مبادلتها القتال لضعف فيه، بل كان قادر على أن يدفعه؛ لذلك ورد الاحتراس بقوله: إني أخاف الله رب العالمين، حيث بين أن السبب في امتناعه هو خشية الله وعدم إرادته الاقدام على معصيته حيث كان هذا هو الدافع الأكبر، وقد نبه أهل التفسير على أن هاييل كان أقدر على أخيه حتى قيل "وَأَيُّمُ اللَّهُ إِنَّ كَانَ الْمُقْتُولُ لِأَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ"¹ وفي هذا الاحتراس معان أخرى يبرزها السياق، فهو وإن كانت رابطة الأخوة لها الوجود الأكبر في نفس هاييل وما تحمله من عاطفة؛ لكنها لم تكن الدافع الأكبر لعدم الرد، وإنما هو تقوى الله وخشيته فقط.

سابعاً: التفريق

وهو: "إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد في المدح أو غيره"².

ورد في حوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن هذا المحسن؛ وذلك عند تأويله لرؤياهم في قوله تعالى: ﴿يُصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ [يوسف: 41] فبني الله يوسف فرق بينهما في المصير، وإن كانوا من جنس واحد، فمصير أحدهما النجاة والآخر الهلاك، وهذا المحسن جماليته في شد انتباه السامع للكلام وإثارته لملاحظة الاختلاف بين شيئين³ ظن عند سماعه للنداء أنهما متفقين في الحكم.

¹ - البغوي، معالم التنزيل، 39/2.

² - عبد المتعال الصعيدي، كتاب بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، 502 .

³ - ينظر: سهل ديرشوي ومحمد رشيد الديرشوي، البلاغة العربية لطلاب الإلهيات، (تركيا: دار المترجم، 2021م)، 181.

المطلب الثاني: المحسنات اللفظية

وهي التي لها " مزيد تعلق بتحسين اللفظ"،¹ وعلى هذا يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ في الأصل، ومن ثم فإنها تحسن المعنى تبعا لتحسين اللفظ، ورد منها في آيات الحوار ما يلي:

أولا: الجناس :

أو التجنيس هو "اتفاق اللفظ واختلاف المعنى"².

ورد الجناس بكثرة في آيات الحوار في مواضع منها:

1- على لسان إخوة نبي الله يوسف: ﴿وتصدّق علينا إنّ الله يجزي المتصدّقين﴾ [يوسف: 88] فبين لفظة تصدق والمتصدقين جناس الاشتقاق وكذلك ورد جناس الاشتقاق في حوار هابيل مع أخيه قابيل في قوله تعالى ﴿لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي﴾ [المائدة: 28] فالجناس بين (بسطت ، بباسط).

2- وكذلك ورد الجناس المماثل في حوار إخوة نبي الله يوسف من قولهم: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له﴾ [يوسف: 77] فالجناس بين (يسرق)(وسرق).

3- وكذلك ورد جناس الاشتقاق في حوارهم من قول أخيهم: ﴿ذلك أو يحكم الله لي وهو خير الحكمين﴾ [يوسف: 80] فالجناس بين ﴿يحكم﴾ و ﴿الحكمين﴾ .

4- وكذلك ورد الجناس في قوله تعالى: ﴿هل أنتم مُطَّلَعُونَ ٥٤ فَأَطَّلِعُ﴾ [الصافات: 54-55].

¹ عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، 368/2.

² ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (القاهرة: دار نهضة مصر، 1960م)، 267/1.

5- ورد جناس القلب كذلك في حوار هارون، في قوله تعالى: ﴿بين بني إسرائيل﴾ [طه: 94].

ثانياً: السجع:

وهو "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"¹ ويسمى الفاصلة القرآنية.

1- ورود السجع والفاصلة فيه حرف الألف

ورد السجع في جميع الحوارات الواقعة بين الأصحاب والتي وردت في سورة الكهف وكان حرف الفاصلة

فيها هو الألف ففي حوار أصحاب الكهف ورد هذا السجع، وذلك في جميع مواضع التحاور بينهم والتي

منها: ﴿شَطَطاً﴾ [الكهف: 14] ﴿كذِبا﴾ [الكهف: 15] ﴿مَرْفَقاً﴾ [الكهف: 16].

وكذلك ورد هذا المحسن في حوار صاحب الجنتين مع صاحبه المؤمن حيث كانت الفاصلة فيه حرف

الألف: ﴿نفراً﴾ [الكهف: 34] ﴿أبدا﴾ [الكهف: 35] ﴿مُنْقَلِبا﴾ [الكهف: 36]

﴿رَجُلًا﴾ [الكهف: 37] وغيرها من بقية الآيات جاءت كلها على نفس الفاصلة، والتي كانت متوافقة

مع فاصلة السورة وجوها العام حيث أن أغلب الآيات كانت تنتهي بفاصلة الألف.

ورد هذا المحسن البديعي في حوار نبي الله موسى ويوشع وذلك في مواضع من الآيات التي سبق ذكرها

وكان السجع في كلماتها الأخيرة وهي:

﴿سرباً﴾ [الكهف: 61] ﴿نصبا﴾ [الكهف: 62] ﴿عجبا﴾ [الكهف: 63] وكان هذا السجع له

أثره الصوتي في نفس السامع، ثم إن التوافق السجعي في هذا الحوار قد ورد بحرف الألف، والذي لا يخلو

من المد الطبيعي، أي مد الصوت عند نطقه، ففي هذا السجع ثمة دلالة على المشاق التي حصلت في

¹ -بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 2/ 299.

هذه الرحلة، والأمور العجيبة؛ وهذا من أثر توافق الفاصلة " وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق إليه بما ليس وراءه في العجب مذهب"¹ مع الوظيفة الأساسية لهذا المحسن، وهو وقوع الكلام في النفس الموقع الحسن.

وكذلك في حوار موسى مع الخضر فقد كانت فاصلته الألف في جميع آيات الحوار والتي منها:

﴿رُشدا﴾ [الكهف: 66] ﴿حُبْرًا﴾ [الكهف: 68] ﴿أمرًا﴾ [الكهف: 69]

2- ورود السجع والفاصلة فيه حرف النون

وأما الفاصلة في حوار إخوة نبي الله يوسف فكانت الفاصلة فيها بالنون ومن ذلك ﴿مُيَبِّينِ﴾ [يوسف:

8] ﴿صَلِحِينَ﴾ ﴿فُعَلِينَ﴾ [يوسف: 10] وكذلك كانت الفاصلة عند تحاور نبي الله يوسف معهم في

جميع المواطن والمواقف كانت الفاصلة فيه حرف النون ﴿مُنَكِّرُونَ﴾ [يوسف: 58] ﴿الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:

59] ﴿وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ [يوسف: 60] وكذلك الحال في بقية الحوار.

ثالثاً: براعة الاستهلال:

"هي كون ابتداء الكلام مناسباً للمقصود"² ويكون ذلك بأن يأتي المتكلم في أول الكلام بألفاظ عذبة

ورقيقة تشتمل على الإشارة إلى ما يقصده المتكلم، ويحتوي هذا المحسن على فائدة وغرض تنبيه السامع

¹ - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م)، 150 .

² - الشريف الجرجاني، التعريفات، 45.

لتفاصيل ما سيذكره المتكلم حتى يتأهب لتلقي الكلام¹، ويدل هذا على تمكن المتحدث من الأمر الذي يريده وثقته بسداد رأي من يحدثه.

ورد هذا المحسن البديعي في حوار الصاحب الناجي من السجن حينما جاء لنيبي الله يوسف طالبا تأويل رؤيا الملك؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ [يوسف: 46] ففتتح كلامه وطلبه بالثناء على نبي الله يوسف بوصفه أيها الصديق، وفيه من التعظيم ما هو ظاهر؛² وذلك لما شاهده من حاله في السجن، ولما وقع من صدق تأويله للرؤيا التي فيها الخروج من السجن، وقد كان غرضه من ذلك الوصول إلى تعبير رؤيا الملك التي يحملها لنيبي الله يوسف، من خلال هذا الاستهلال، بعد أن تحقق عنده الثقة بكل ما يقوله،³ ولا يخفى ما لهذا المحسن من الأثر في نفس السامع، ومن القوة والمكنة في كلام المتحدث، ومن دلالاته أيضا ما ينبغي أن يكون عليه الحوار بين الأصحاب، من ذكر الفضل والتلطف عند الطلب، ويدل هذا الحوار على أثر الصحبة الطيبة التي تركها نبي الله يوسف في نفس هذا الرجل.

رابعاً: الاحتباك:

والاحتباك: "هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويجذف من كل واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه"⁴ وهذا المحسن من ألطف وأبدع أنواع البديع، ويكون هذا المحسن بجذف جزء من الكلام الأول

¹ - ينظر: جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ، 1988م)، 58 / 1، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 153/1.
² - ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، 465/18.
³ - ينظر: القاسمي، محاسن التأويل، 6 / 182.
⁴ - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، 12.

والذي أثبت نظيره في الكلام الثاني، وكذلك يُحذف من الثاني ما أثبت في الأول للدلالة عليه، وقد سماه الزركشي بحذف المقابل¹.

ورد محسن الاحتباك في حوار نبي الله موسى مع أخيه هارون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ما منعك إذ رأيتهم ضلُّوا ۙ ۙ ألا تتبعن﴾ [طه: 92-93] فتقدير الكلام يكون: (ما منعك أن تتبعني)، (واضطرك إلى أن لا تتبعني)، فقد حُذف من الجملة الأولى ﴿ما منعك﴾ ما يقابلها في الجملة الثانية، فالمحذوف فيها هو (أن تتبعني) وحذف من الجملة الثانية ما يقابلها في الجملة الأولى، وهي (واضطرك إلى) ﴿ألا تتبعن﴾؛ وذلك لدلالة بعضهما على بعض، وفي هذا الأسلوب شبه احتباك أشار إليه ابن عاشور؛ وذلك لقصد تأكيد التوبيخ والإنكار وتشديد الأمر لعدم لحاق نبي الله هارون لنبي الله موسى بعدما رأى عبادة بني إسرائيل للعجل،²

ويرى الباحث أن هذا المحسن البديعي يأتي مع ما يحمله من إيجاز مناسب للجو الذي ورد فيه الحوار والذي كان يكتنفه الغضب الشديد، فيأتي ليثير معان أخرى منها تقديم السؤال عن عدم الاتباع احسانا للظن بأخيه والذي الأصل فيه الاتباع وأخر عدم الاتباع لتبيين العذر، مع أن الأصل في الكلام هو التوبيخ والإنكار، وتأتي هذه المعاني مطوية في هذا المحسن البديعي، والذي يدل على احباك الكلام وتحسين أثر الصنعة فيه .

¹- ينظر: الزركشي، كتاب البرهان في علوم القرآن، 129/3.

²- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 292/16.

خامساً: الافتنان

الافتنان وهو: "أن يفتن المتكلم فيأتي في كلامه بفنين إما متضادين أو مختلفين أو متفقين"¹

ورد هذا المحسن البديعي في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40] فإنه نحاه وبشره في نفس الوقت، نحى أبا بكر رضي الله عنه عن الحزن الذي وقع منه خوفاً على النبي، وبشره بنفس الوقت بمعية الله الخاصة، ويا لها من بشرى عظيمة بحصول هذه المعية التي لا تكون لأي أحد من الخلق، فاجتمع في هذا الكلام هذان الفنان وهو ما يسمى في باب البديع بالافتنان،

ورد هذا المحسن في حوار نبي الله يوسف مع أخيه بنيامين وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: 69] حيث اجتمع فنان الأول البشارة فقد بشره بأنه هو أخوه الذي كان يظن أنه هلك كما زعم إخوته أنه أكله الذئب، بل هو أمامه يحدثه، ثم الأمر الثاني نحاه وسألاه عن الحزن الذي كان يقع في قلبه من فعل إخوته به، فاجتمع في هذا النص هذان الأمران، وهو ما يسمى بالافتنان.

ورد في هذا المبحث بيان المحسنات المعنوية واللفظية المنطوية تحت هذا الفن البديعي، والتي وردت في آيات الحوار، فالمحسنات المعنوية كان أثرها كبيراً وواضحاً في آيات الحوار، وذلك من خلال الطباق الذي يحمل صورة متقابلة ومعان بعيدة، فوق المعنى الظاهر من الحوار؛ وذلك لما يكمن في هذا المحسن من جملة معاني متضادة، والتي يكون لها الوجود في تحاور مثل هذين الفئتين كما جرى في حوار يوسف وإخوته، وعند الحديث بين هذين الفئتين لا بد من وجود ما هو فاضل ومفضل في الكلام، وما هو أولى، فقد

¹ - محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، 405/9.

جاء محسنُ أسلوب الحكيم ليكشف هذا الأمر في حوار صحبة الكهف، وأما فن اللف والنشر فقد جاء في حوارين مختلفين، فلما كان الحوار فيه مقام علم وأحداث متسلسلة كان النشر على وفق ترتيب اللف، وأما في حوار الصحبة المختلفة في الدين، فثمة أولويات يراد تقديمها في الكلام من خلال تبين المعاني؛ وذلك لأثر نوع الصحبة فالمغرور أول ما عنده التفاجر، وآخر ما لديه الدين، لذلك تولى تبيانها محسن اللف على خلاف النشر، لما هو أولى فأولى في الجواب، وهكذا بقية المحسنات المعنوية، والتي جاءت تحتوي على معان بلاغية قيمة، وفق مراعاتها لمقتضى الحال من إدماج، واحتراس، وما تكمن فيه من روعة بديعية أودعت فيها الأسرار، وكذلك ما ورد في المحسنات اللفظية على مختلف أنواعها وآثارها الصوتية والإيقاعية في الكلام والتي لم تعمل على تحسين الألفاظ وتحميلها فحسب بل كان لها دور كبير على المعاني وإبرازها، كالسجع والجناس وبراعة الاستهلال، ولما كان المقام مقام راحة وبشريات كان حسن الاستهلال حاضرا بين يوسف وصاحب السجن كأنه يحمل معاني كثيرة متناثرة في ضوء هذا الاستهلال مأخوذة من الأثر في النفس من تلك الأيام في السجن، ولما كان المقام مقام عتب وضيق وغضب، كما هو الحال في حوار موسى وهارون، يأتي الإدماج يصف ذلك الحال مع ما يحمله من إيجاز مراعاة لمقتضى الحال.

الخاتمة والنتائج

توصل الباحث من خلال دراسة هذه الآيات إلى مقاصد ومعان مركزية سيذكر منها شيئاً مختصراً، لأبرز نتائج التحليل للأساليب الواردة في هذه الحوارات، يورد منها ما يلي فكل حوار من هذه الحوارات فيه منافع عظيمة وكثيرة يعجز الإنسان عن حصرها وبيانها.

- لقد كانت قضية التحاسد قضية مركزية أبرزتها آيات الحوار كما هو الحال في حوار هابيل وقايل ويوسف وإخوته .

- ضرورة الحفاظ على رابطة الإخوة؛ وذلك بإظهار التسامح والتغافل عن الأخطاء وإن كان الجرم عظيماً والفعل شنيعاً .

- أثر الإخوة والصحبة في تحمل المسؤوليات الكبيرة من تبليغ الدين وسياسة أمور الناس؛ كالذي في حوار موسى وهارون، والنبي صلى الله عليه وسلم والصديق، وأثر الصحبة والإخوة في الإعداد لذلك كما كان نبي الله موسى وهارون، وموسى ويوشع .

- اتخاذ الصاحب والرفيق في طلب العلم والرحلة إليه .

- بيان أهمية الصاحب والصديق عند الاستشارة وطلب المشورة .

- التواضع لأجل العلم والتلطف من أجل الحصول عليه .

- أثر الأخ والصاحب في إذهاب المخاوف والأحزان، وإحداث البشرى والسرور، كما هو الحال في حوار يوسف مع أخيه بنيامين، والنبي صلى الله عليه وسلم مع الصديق .

-بيان خطورة اجتماع الإخوة والأصحاب على الباطل، أو المعصية كاجتماع الإخوة أصحاب البستان على منع الصدقات، وبيان أثر الأخ الناصح وإن لم يؤخذ بنصحه .

-التنبه لخطر الصحبة السيئة، وعدم الاغترار بحالها؛ كما هو حال الصاحب المغرور بجنته .

-لقد خرجت الأساليب الخيرية في آيات الحوار عن غرضي الخبر الأساسين إلى معان بلاغية أخرى، وهذا كان حال جل الأساليب؛ وذلك لأن المتحاورين تجمعهم الصحبة والأخوة، وتكون الأخبار عندهم معلومة، فوردت الأخبار إلى معان أخرى بينها البحث .

- أكثر الأساليب الإنشائية من أمر ونهي واستفهام وغيرها خرجت إلى معان بلاغية أخرى؛ لأنه يغلب على الصحبة والإخوة التساوي في الرتبة، فتأتي الأوامر والنواهي على غير حقيقتها إلا ما كان صادراً من كبير إلى من هو دونه، أو رئيس بينهم إلى مرؤوس، وكذلك الحال في الاستفهام الذي كانت الآيات فيه جلها تخرج إلى معان بلاغية أخرى.

- كان لأسلوب الإظهار حضور قوي في آيات الحوار حيث أبرز معان كان لها أثر في التحاور من خلال إبراز معان متداخلة في الجمل، كحديث نبي الله يوسف عن نفسه مع إخوته.

- كان لأسلوب القصر حضور كبير و واضح من بين أساليب علم المعاني، حيث أحدث هذا الأسلوب ثراءً بسبب تنوع طرقه التي لم تكن على نسق واحد بل لكل طريق من طرقه فروق دقيقة، اشتملت على ملاحظات لطيفة في جوانب الحوار من خلال بيان أغراض المتكلم واعتبار حال المخاطب في القصر الحقيقي كما جاء في باب الدعوة إلى الله من خلال تصحيح العقيدة وإبطال المسائل الفاسدة، كحوار الصاحب المؤمن مع صاحبه أو نبي الله يوسف مع صحبة السجن وكذلك المعاني المنطوية تحت القصر الإضافي، وأما طرق القصر فأغلبها حضوراً في آيات الحوار هو القصر بالنفي والاستثناء؛ كون الحوار بين

هذين الطائفتين يغلب عليها الندية فيحتاج إلى إبطال أمر وإقرار آخر، وهذا ما ورد في آيات الحوار التي تشتمل على النصح والتعليم والتوجيه.

-لقد كانت دلالة أسلوب الوصل والفصل في الجمل لها معانٍ في جمل الحوار غير المعاني الظاهرة عند تفسير الآيات، حيث كان للاستئناف البياني حضوراً كبيراً في آيات الحوار حيث جاء هذا الأسلوب في مختلف الحوارات.

-وأما بالنسبة لإيجاز القصر فكان وجوده في مواقف معينة من آيات الحوار كالذي حصل بين موسى وهارون عند وصيته، وإيجاز القول من هايل وقايل، وأما إيجاز الحذف سواء حذف الحرف أو الكلمة أو الجملة فقد اشتملت آيات الحوار عليه كله، فقد طوى الحوار مواقف عديدة وأحداث كثيرة من خلال إيجاز الحذف .

-وأما الإطناب فقد جاء موافقاً لمقتضى الحال لمناسبته مواقف تقتضي زيادة الألفاظ لأجل تأدية المعاني كحوار إخوة نبي الله يوسف عند استعطافهم إياه.

-لم يرد التشبيه في آيات الحوار حسب اطلاع الباحث إلا في حوار النسوة؛ وذلك لما شاهدته من جمال نبي الله يوسف الذي خالف ما هو معهود، فاستدعى المقام تشبيهاً بليغاً يصف ويقرب الحال المشاهد .

-حضور الاستعارة في آيات الحوار في مواطن مختلفة وصور متنوعة؛ وذلك لما تعطيه من مساحة في تصوير الأمور وتقريب الأحداث كالتي وردت في حوار نبي الله موسى مع يوشع.

-لقد تمثل المجاز بما يعنيه من الاتساع في الكلام، وتكثير المعاني في آيات الحوار تمثلاً عجيباً كالذي ظهر في حوار إخوة نبي الله يوسف من انصراف أيهم لهم.

-وأما الكناية فقد وردت في الحوارات الطويلة والتي اشتملت على إقناع ونقاش كحوار نبي الله يوسف مع صحبة السجن.

-أدت المحسنات المعنوية واللفظية في آيات الحوار أدوارها التي امتازت بها بلاغة هذه الأساليب فالتطبيق الذي يحمل صوراً متقابلة ومعاني بعيدة كان له دور في آيات الحوار .

-وقد ورد محسن اللف والنشر في الحوارات الطويلة التي فيها أولويات فلما كانت الأحداث زمنية متسلسلة ورد فيها النشر على وفق ترتيب اللف، ولما كان الحوار فيه اختلاف في الدين والأصول كان اللف على خلاف النشر مراعاة لما هو أولى فأولى من الجواب كما ورد في حوار المؤمن مع صاحب الجنين.

- كشف محسن الإدماج والاحتراس والتفريق عن معان بديعية وأسرار بلاغية لها أثر كبير في سياق الحوار كالذي ورد في حوار نبي الله يوسف مع إخوته، او حوار هابيل مع أخيه .

- لقد تجلى إعجاز القرآن في الفاظه ومعانيه في آيات الحوار وذلك من خلال ما ورد في المحسنات اللفظية على مختلف أنواعها وآثارها الصوتية والإيقاعية في الكلام، والتي لم تعمل على تحسين الألفاظ وتحميلها فحسب بل كان لها دور كبير على المعاني وإبرازها كالسجع، والجناس، وبراعة الاستهلال، فلمَّا كان المقام مقام فرح وبشرى فالاستهلال كان حاضراً، كما في حوار صاحب السجن مع نبي الله يوسف و لما كان المقام مقام ضيق وغضب، فالإدماج يصف ذلك الحال ويراعي ذلك المقام كما ورد في حوار نبي الله موسى مع أخيه .

التوصيات

إن أهم ما يوصي به الباحث هو حاجة الحوارات لدراسة موضوعية تخرج ما في هذه الآيات من كنوز ودرر، منطلقة من هذه الأساليب ثم إلى دراسة موضوعية أوسع من هذه، وهي دراسة ظاهرة الإخوة في

القرآن الكريم، ودراسة ظاهرة الصحبة في القرآن الكريم، فهذه الروابط لا بد من الوقوف على معالمها
واستنطاق معانيها، حتى يقف الإنسان على ما تفرق في كتب التفسير من قيم بثت فيها.



المصادر والمراجع

- الأرمي العلوي، محمد الأمين الهري. تفسير حدائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن. بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب. المفردات في غريب القرآن. دمشق بيروت: دار القلم الدار الشامية، 1412 هـ.
- الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن أثير الدين. البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر، 1420 هـ.
- الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ.
- الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.
- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة وعلم البديع. مصر - القاهرة: مؤسسة المختار، السعودية - الإحساء: دار المعالم الثقافية، 1998 م.
- بسيوني عبدالفتاح فيود، علم المعاني دراسة بلاغية. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر، 1436 هـ - 2015 م.

- البغدادي، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ.
- البغدادي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي. معالم التنزيل في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط برهان الدين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 2006 م.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.
- التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية، 1984 م.
- التونسي، أبو العباس البسيلي. نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1429 هـ - 2008 م.
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. لبنان: بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز في علم المعاني. القاهرة: مطبعة المدني - جدة: دار المدني، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. كتاب التعريفات. لبنان: بيروت دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الجناحي، حسن بن إسماعيل بن حسن. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الحلبي، عبد العزيز بن سرايا صفى الدين. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع. دمشق: مجمع اللغة العربية، 1412هـ-1992م.
- الحمصي، محمود صافي. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الحمصي، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش. إعراب القرآن وبيانه. حمص: دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق، بيروت: دار اليمامة، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٥هـ.
- الحميري، عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري. السيرة النبوية لابن هشام. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- الحنفي، إبراهيم بن محمد عصام الدين. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الدسوقي، محمد بن عرفة. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني. بيروت: المكتبة العصرية، 1440هـ.
- الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

- **الدمشقي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان.** بيروت: دار الكتب العلمية، 1909م - 1327هـ.
- **الدمشقي، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية. تفسير القرآن.** بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٠ هـ.
- **الدمشقي، وهبة الزحيلي. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.** دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١ هـ - ١٩٩١م.
- **الدمشقي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل. اللباب في علوم الكتاب.** بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- **الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين. مفاتيح الغيب.** بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
- **الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. معجم مقاييس اللغة.** دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
- **الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.** بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.
- **الرافعي، أحمد مطلوب أحمد الناصري، أساليب بلاغية.** الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م.
- **الرماني، علي بن عيسى بن علي أبو الحسن. النكت في إعجاز القرآن.** مصر: دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م.

- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد. **البرهان في علوم القرآن**. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1407 هـ.
- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. القاهرة: دار الريان للتراث، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- السامرائي، فاضل صالح. معاني النحو. الأردن: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي بهاء الدين. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن علي، **مفتاح العلوم**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- سهل ديرشوي ومحمد رشيد الديرشوي. **البلاغة العربية لطلاب الإلهيات**، تركيا: دار المترجم، 2021 م.
- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**. القاهرة: دار الشروق، 1425 هـ - 2004 م.
- سيد قطب، **في ظلال القرآن**. القاهرة: دار الشروق، 2003 م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. معترك الأقران في إعجاز القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، 1408هـ-1988م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. الإتيقان في علوم القرآن. مصر: الهيئة العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.
- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414هـ.
- الشيباني، ضياء الدين بن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. القاهرة: دار نخبضة مصر، 1960م.
- الشيحي، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن. لباب التأويل في معاني التنزيل. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
- الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير. القاهرة: دار الصابوني، 1417هـ - 1997م.
- الصعيدي، عبد المتعال عبد الوهاب أحمد. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. القاهرة: مكتبة الآداب، 1426هـ-2005م.
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، دون تاريخ نشر.
- طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نخبضة مصر، 1998م.
- عبد العزيز عتيق. علم المعاني. بيروت: دار النهضة العربية، 1430هـ - 2009م.

- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. مصر: مكتبة وهبة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع. كتاب تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر. العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 2008م.
- عزيزة فوال بابيتي. المعجم المفصل في النحو العربي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ - 1992.
- العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر. القاهرة: دار المأثور، 2011م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران. الصناعتين. بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩ هـ.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٣١ هـ.
- فضل حسن عباس. البلاغة فنونها وأفنانها. عمان: دار النفائس، 2009م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر الشافعي. تلخيص المفتاح مع شرحه الجديد تنوير المصباح. باكستان: مكتبة المدينة، 1437هـ.

- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. لطائف الإشارات. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م.
- القنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن. فتح البيان في مقاصد القرآن. صيدا: المكتبة العصريّة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. بيروت: دار الجيل 1401 هـ - 1981 م.
- الكفوي، أيوب بن موسى. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998م.
- الليثي، عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الشهير بالجاحظ، البيان والتبيين. (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور. تفسير الماتريدي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. النكت والعيون. بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م.
- محمد محمد أبو موسى. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. القاهرة: مكتبة وهبة، 1996م.
- محمود عبد الجليل روزن. الإظهار في مقام الإضمار في القرآن أسماء الله انموذج. مركز تفسير للدراسات القرآنية.

- المصري، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي. التبيين في تفسير غريب القرآن. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1423 هـ.
- الموصللي، أبو الفتح عثمان بن جني. كتاب الخصائص. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.
- الموصللي، يعيش بن علي بن يعيش. شرح المفصل. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- الميداني الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة. البلاغة العربية. بيروت: دار القلم، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين. نهاية الأرب في فنون الأدب. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣ هـ.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: المكتبة العصرية، 1999 م.
- اليمني، يحيى بن حمزة المؤيد بالله. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣ هـ.

السيرة الذاتية

أكمل الباحث دراسته في بغداد، وتخرج من الجامعة العراقية- كلية الآداب - قسم اللغة العربية، وقد حصل الباحث على بعض الإجازات العلمية في متون اللغة العربية وغيرها من العلوم، والتحق الباحث لدراسة الماجستير في العلوم الإسلامية الأساسية في جامعة كارابوك في تركيا.





**KARDEŞLER VE ARKADAŞLAR ARASINDAKİ
DİYALOGLARI İÇEREN AYETLER: BELAGAT
YÖNÜNDEN BİR İNCELEME**

**2024
YÜKSEK LİSANS TEZİ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ**

Mohammed Saeed AHMED

**Tez Danışmanı
Dr. Öğr. Üyesi Salih DERŞEVİ**